



مجالس السلطان الغوري

مصفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري

تأليف
الدكتور عبد الوهاب عزام

مكتبة الثقافة الدينية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

مجالس السلطان الغوري

مصفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري

تأليف

الدكتور عبد الوهاب عزام

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1431هـ-2010
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناسر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عزام ، عبد الوهاب
مجالس السلطان الغورى : صفحات من تاريخ مصر فى القرن العاشر الهجرى
تأليف : عبد الوهاب عزام
القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 2010
180 ص ، 24 سم
تكمك : 5-466-341-977-978
1- مصر - تاريخ - عصر المماليك (1250-1517 م)
ا- العنوان

نيوى : 953,82

رقم الابداع: 2572

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



السلطان الغوري

مقدمة

اطلعت منذ سنين على كتاب فى دار الكتب المصرية اسمه " الكواكب الدرى فى مسائل السلطان الغورى " ، يتضمن آراء السلطان الغورى آخر سلاطين المماليك المصريين فى مسائل من الفقه والتفسير وغيرها عرضت فى مجالسه . والكتاب نسخة مصورة عن نسخة فى استنبول هى نسخة السلطان التى كتبت له فى القاهرة وأهديت إلى خزانه كتبه .

قرأت الكتاب وتقرت سيرة السلطان فى العلم والأدب ، فعثرت على أبيات له بالعربية والتركية ، وألقيت محاضرة فى الجمعية الجغرافية موضوعها " مكانة السلطان الغورى فى العلم والأدب " . ثم دأبت على استقراء سيرة هذا السلطان ، فأخبرنى بعض العلماء أن الشاهنامه ترجمت نظماً إلى التركية بأمر الغورى ، وأن نسخة من هذه الترجمة فى إحدى دور الكتب باستانبول . فكتبت إلى أحد العلماء هنالك فأجبنى أنه لم يجد الكتاب فى المكتبة التى سميتها له . ومرت سنوات قبل أن أعثر فى مكتبه الأمير إبراهيم حلمى - التى أهداها الملك فؤاد رحمة الله إلى مكتبة الجامعة المصرية - على مجلد فيه نصف الكتاب المفقود . شرعت أقرأ الكتاب فرحاً بهذا الظفر ، متعرفاً للغة التى نظم بها ، متبيهاً فرق ما بينها وبين اللهجات التركية الأخرى .

ثم عرفت بعد قليل أن نسخة كاملة من هذه الترجمة فى مكتبة المتحف البريطانى ، فعزمت على أن أنقل صورتها إلى مكتبة الجامعة .

ثم سافرت إلى استانبول عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) لأنقب فى مكتباتها عن الشاهنامه التركية ، شاهنامه الغورى ، وعن كتب أخرى . وانتهى البحث

إلى أن عثرت فى مكتبات السلاطين العثمانيين فى سراى طوب قيو على نسخة من الكتاب فى مجلد واحد ضخّم فيه صورة ملونة جميلة .

ويستطيع القارئ أن يقدر اغتباطى ودهشتى إذا علم أن هذه النسخة التى عثرت عليها بعد طول البحث والتحرى هى النسخة الأم من هذا الكتاب - النسخة الأولى التى كتبها المترجم بيده فى القاهرة وقدمها إلى السلطان الغورى .

زاد اطلاعى على مقدمة الكتاب وخاتمته معرفتى بعناية السلطان بالأدب ورعاية أهله ، فزدت إعجاباً بالرجل وإعظاماً له . وأطلعت من بعد على كتاب آخر يتضمن طرفاً من آراء السلطان ومحاوراته فى مجالسه اسمه " نفائس المجالس السلطانية " وهو نسخة فى دار الكتب مصورة عن نسخة فى استانبول هى النسخة التى كتبت للسلطان .

وينبغى أن أقول أعترافاً بالفضل لأهله إن الذى أطلعنى على هذا الكتاب وكتاب الكواكب الدرّى هو العالم الفاضل الشيخ محمد عبد الرسول ، جزاه الله خيراً .

اجتمع لى كتب ثلاثة ألف للسلطان ، واجتمع لى الأمهات من هذه الكتب - النسخ الأولى التى كتبت للغورى وقدمت إلى خزانة كتبه . فجعلت هذه الكتب الثلاثة موضوع بحث ألقيته فى مؤتمر المستشرقين ، الذى اجتمع فى بروكسل سنة ١٩٣٨ .

ورأيت أن أطبع " نفائس المجالس السلطانية " كله ثم بدأ لى أن أختار منه ومن الكتاب الآخر " الكوكب الدرّى " ما يفى بالمقصود ، وأن أعفى القارئ من كثير من المسائل التافهة المتشابهة التى يتضمنها الكتابان ، فاخترت

من الكتّابين مسائل وافية بتصوير مجالس الغورى وتبين آرائه وآراء العلماء
والكبراء الذين كانوا يغشون مجالسه، لتكون صفحات من تاريخ بلادنا فى
القرن العاشر الهجرى.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مدخل السلطان الغورى

- ١ -

مكانه مصر بين الممالك الإسلامية أواخر عصر الممالك، وموقفها فى تباشير العصور الحديثة بين الشرق والغرب، وصلاتها بدول أوروبا والدول الإسلامية؛ خاصة دول بنى عثمان، وقوة أساطيلها فى بحر الروم والبحر الأحمر إلى الهند، واحتلالها بعض سواحل الهند لتأمين التجارة، واصطدامها بأساطيل البرتغاليين فى المحيط الهندى، ثم نظام السلطان فى مصر إذ ذاك، وأحوال مصر العلمية والأدبية والاقتصادية - كل أولئك مجال واسع لبحث عويص مفيد ممتع ذى خطر فى تاريخ مصر والبلاد العربية والإسلامية، وتاريخ العالم كله. وعسى أن يوفق مؤرخونا إلى درس هذه المسائل وبسطها؛ فهى جديرة بالدرس والبسط، وهى من الواجبات الأولى على المؤرخين المصريين.

كان السلطان الغورى يدبر ملكًا واسعًا هو ملك مصر والأقطار التى تتبعها فى أكثر العصور - الملك الذى ذكره أبو الطيب المتنبى وهو يمدح كافورا الأخشيده:

يدبر الملك من مصر إلى عدن

إلى العراق ، فأرض الروم فالنوب

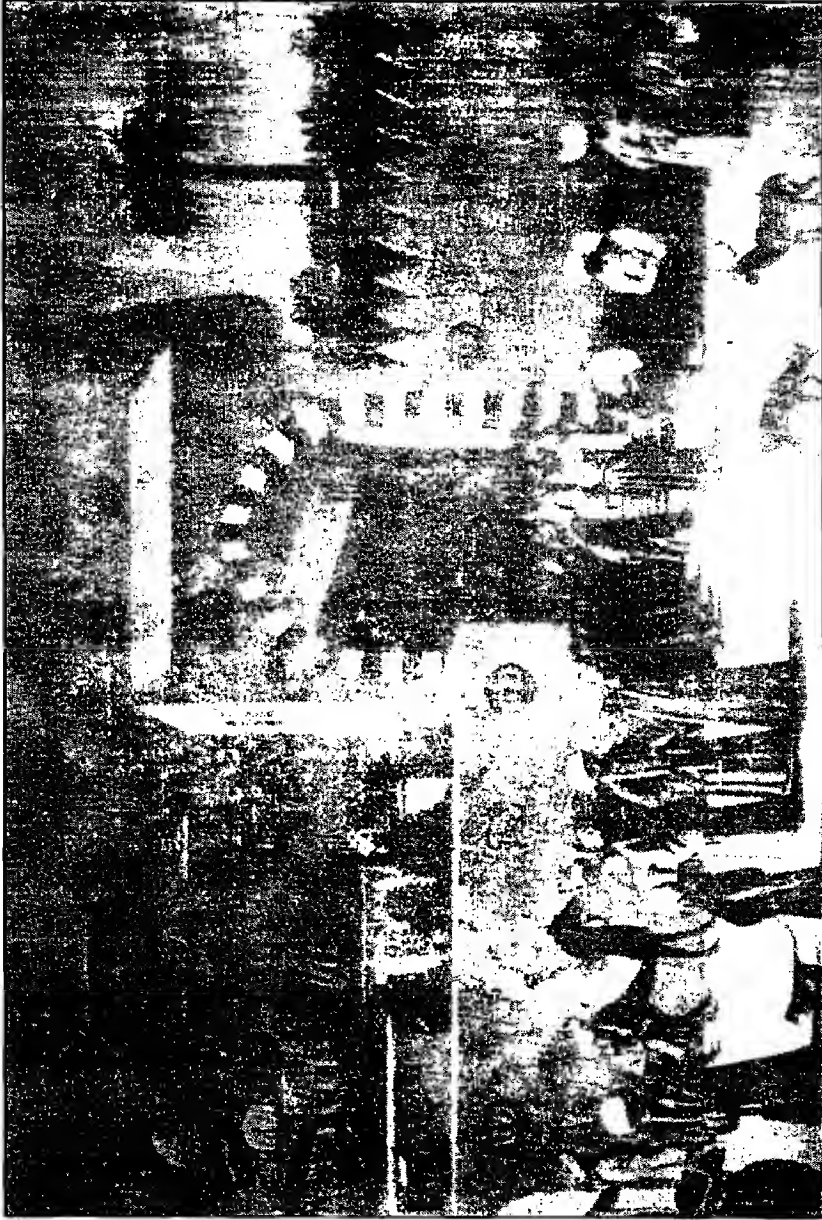
كانت مصر والشام وبلاد العرب، وبعض الجزيرة الفراتية، وبلاد

العواصم، وهى القسم الجنوبي من آسيا الصغرى، فى سلطان ملوك مصر فى معظم العصور الإسلامية. وكانت كذلك أيام الغورى، وكان بنو رمضان الذين تسلطوا فى أذنه وطرسوس وما يليها يولون من قبل سلاطين مصر.

وبلغت الأساطيل المصرية سواحل الهند، وبنيت عليها قلاعاً لحماية التجارة. وقد اجتهد الغورى زمنًا فى الاحتفاظ بسلطان المصريين فى تلك الأرجاء، على رغم البرتغاليين. وكان بعض أمراء الهند يستنجدون على الفرنج فيرسل الأساطيل والجند فى الحين بعد الحين.

وكان للغورى، وللسلاطين المماليك من قبله، الزعامة بين ملوك المسلمين، لتوليهم خدمة الحرمين الشريفين ولما كان الخلافة العباسية فى مصر. ومن يتبع الرسائل التى كانت بين ملوك مصر وغيرهم من الملوك المسلمين، ويتعرف أحوال الأقطار الإسلامية فى تلك العصور يعرف أن ملوك مصر لم يكونوا ينازعون فى هذه الزعامة. وحسب الباحث أن يقرأ الرسائل التى ترأسل بها سلاطين آل عثمان ومماليك مصر. وكثير منها محفوظ فى منشآت السلاطين التى جمعها فريدون بك فى القرن الحادى عشر الهجرى.

ولهذا نجد فى تاريخ الغورى كثيراً من أخبار الرسل أو القصاص الذين كانوا يترددون بينه وبين الأقطار الإسلامية، وغير الإسلامية. نجد رسلاً من الهند وإيران والعراق ومن قبل السلاطين العثمانيين، وأمراء آسيا الصغرى، ومن بلاد السودان والحبش، ومن بلاد الكرج وأوروبا وجزر بحر الروم. وكثير من الأمراء المغلوبين على أمرهم كانوا يلجئون إلى مصر ليستنجدوا سلاطينها أو يقيموا فيها آمنين.



صورة تبين السلطان جالساً على باب قصره يستقبل السفراء

يقول ابن إياس فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٨ :

"ومن العجائب أن فى هذا الشهر اجتمع عند السلطان نحو من أربعة عشر قاصداً. وكل قاصد من عند ملك على انفراده. فمن ذلك قاصد شاه إسماعيل الصفوى، وقاصد ملك الكرج، وقاصد ابن رمضان أمير التركمان، وقاصد من عن ابن عثمان ملك الروم، وقاصد يوسف ابن الصفوى خليل أمير التركمان، وقاصد صاحب تونس ملك الغرب، وقاصد من مكة، وقاصد الملك محمود، وقاصد ابن درغل أمير التركمان، وقاصد من عند نائب حلب، وقاصد من عند حسين الذى توجه إلى الهند، وقاصد ملك الفرنج الفرنسية، وقاصد البنادقة، وقاصد على دولات، وغير ذلك قصاد من عند جماعة من النواب".

ولا أريد أن أبين هنا مكانة مصر وعلاقتها مع بلاد الشرق والغرب إذ ذاك؛ فإن من أصعب المباحث التاريخية وأوسعها وأكثرها إمتاعاً أن يُدرس التنافس بين الدول الإسلامية المتجاورة: الدولة المصرية، والدولة العثمانية، والدولة الصفوية، وموقف مصر بين جارتها وبين الدول الأوربية التى تنافسها فى بحر الروم وبحر العرب إلى الهند، وتعرف الأسباب التى مكنت سليماً من أن يهزم إسماعيل الصفوى وقانصوه الغورى، والأسباب التى أخرت الدول الإسلامية عامة عن منافسة الأوربيين فى مغامراتهم فى بحار الشرق.

إن هذه المباحث وما يتصل بها ليست مما يتسع لتفصيله أو إجمالها هذه المقدمة؛ وإنما أُلعت إلى هذه الحوادث لابين مكانة مصر وسلاطينها فى ذلك العصر وبين العبء الذى اضطلع به الغورى فى تدبير أمور مصر الداخلية والخارجية.

وسأذكر فى الأوراق الآتية طرقاً من سيرة السلطان الغورى أجعله
إيضاحاً وتكملة لما يستفاد من الكتابين اللذين أقدم لهما هذه المقدمة .

وعمدتى فى هذا تاريخ ابن إياس المؤرخ المعاصر المدقق . وقد حرصت
على أن أدعه يحدث القارئ بلغته ، كلما أمكن هذا ؛ لأن آراء ابن إياس ولغته
وأسلوبه صور من تاريخ ذلكم العصر .

٢ - كيف تولى الغورى الملك^(١) :

قولى أمر مصر فى أواخر القرن التاسع الهجرى سلطان من أعظم
السلاطين المماليك همة ، وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم براً ، هو الملك الأشرف
قايت باى . ملك من سنة ٨٧٢ إلى سنة ٩٠١ ، فاستقرت به الأمور فى مصر
بعد الاضطراب الذى عقب وفاة الظاهر خوشقدم .

وقد شغل زمناً بمحاربة العثمانيين فى عهد السلطان بايزيد الثانى ابن
الفتاح وظفر عليهم فى أكثر الوقائع ، ولكنه صالحهم آخر الأمر سنة ٨٩٦
على أن يرد إليهم مدينتى أذنه وطرسوس .

ولا تزال آثار هذا السلطان الكبير ظاهرة فى مصر والحجاز .

وتلا وفاة قايت باى عهد من الاضطراب تداول فيه أمر مصر وما يتبعها
خمسة سلاطين : خليفة ابنه محمد ، وخلع بعد ستة أشهر ، ثم عاد إلى الملك

(١) بينت فى محاضرة القيتها فى الجمعية الجغرافية الملكية منذ سنوات أن الضبط الصحيح
لهذا الاسم هو الغورى بفتح الغين لاضمها ، وكانت حجتى فى هذا أن الاسم كتب بهذا
الضبط على مصحف للسلطان فى دار الكتب المصرية . وقد صدق هذا رأى أبيات كثيرة
فى الشاهنامه التركية جاء فيها الغورى فى القافية مع كلمات مثل دور ، وغور ، وأن
الاسم ضبط هذا الضبط فى عنوان هذا الكتاب . وفى ابن إياس سجعه ترجع أنه الغورى
بضم الفين ولكنها لا تكافئ الأدلة القوية التى ذكرتها (ص ١٢ الآتية) .

بعد خمسة أشهر فملك ثمانية عشر شهراً، ثم قتل سنة ٩٠٤. وتوالى بعده ثلاثة سلاطين فى ثلاثين شهراً.

فلما اختفى السلطان طومان باى هرباً من المماليك اجتمع رؤساء الدولة ليختاروا سلطاناً ينتهى بولايته هذا الاضطراب.

وانقل هنا من تاريخ ابن إياس جملة تصور الحال تصوير معاصر خبير :

" وثب العسكر على العادل (طومان باى) فى سلخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة، واختفى فى ليلة عيد الفطر بعد العشاء. فلما أصبح ذلك اليوم وأشيع هروب العادل ركب الأمير قيت الرحبى أمير سلاح، وقانصوه الغورى أمير دوا دار كبير الخ^(١)، ثم ظهر خوشكلدى البيسقى، وكان مختفياً من العادل لما أراد القبض عليه. فلما تكاملوا اجتمعوا بيت قانصوه خمسمائة الذى بقناطر السبع، فحضر إليهم الأتابكى تانى بك الجمالى، وكان مختفياً من حين كسر الأشراف جانبلاط وتسلطن العادل.

فلما حضر وقع الاتفاق على سلطنته أولاً، فركب من هناك وعلى رأسه الصنjq^(٢) السلطانى. وقد ترشح أمره إلى السلطنة. فلما طلع إلى باب السلسلة ليلى السلطنة أشيع فى ذلك اليوم أن الأشراف قانصوه خمسمائة باق على قيد الحياة. فأشهبوا النداء فى القاهرة بأن قانصوه خمسمائة أن كان موجوداً فليظهر وله الأمان. وأن لم يظهر بعد ستة أيام فلا أمان له.

فلما طال المجلس انفض العسكر من الرملة، ونزل غالب الأمراء الذين كانوا قد اجتمعوا فى الحراقة بباب السلسلة، وكان يوم عيد الفطر، فاحتار كل

(١) عد ابن إياس تسعة أمراء آخرين.

(٢) الصنjq العلم.

أحد عوده إلى داره حتى يقع اختيار الأمراء على من يولوه السلطنة . فأعرض
غالب العسكر عن الأتابكى تانى بك الجمالى ، ولم يرض به أحد منهم .
وكان الأتابكى تانى بك الجمالى أرشل معكوس الحركات فى أفعاله . وطاش
لما ذكر للسلطنة . ثم آل أمره بعد ذلك إلى كل سوء . فلم تقم له السلطنة ،
وكانت من نصيب قانصوه الغورى

فلما رأوا المجلس مانع^(١) تعصب الأمير قيت الرجبى أمير سلاح
والأمير مصرباى ، إلى قانصوه الغورى ، وقالوا ما نسلطن إلا هذا . فسحبوه
وأجلسوه وهو يمتنع فى ذلك ويبكى ، وربما كلمه مصرباى ومزق طوق
ملوطته ، وهو يمتنع غاية الامتناع . فحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب ،
وقاضى القضاة بعد الغنى ابن تقى المالكى ، والشهاب الشيشينى الحنبلى ،
وتأخر قاضى القضاة الشافعى رين الدين ركريا ، وبرهان الدين الكركى الحنفى
حتى يقع رأى الأمراء فيمن يولوه السلطنة ، فكتب القاضى الحنبلى صورة
محضر فى خلع العادل من السلطنة ، وشهد فيه جماعى كثيرة من الناس بأنه
سفاك للدماء . ثم حضر القاضى الشافعى والقاضى الحنفى وعقدت البيعة
لقانصوه الغورى . وبايعه الخليفة . وكانت سلطنته فى يوم الاثنين مستهل
شوال سنة ست وتسعمائة .

ثم أحضر إليه شعار السلطنة ، وهى الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه
ذلك . كل هذا وهو يمتنه ويبكى ، فلقبوه بالملك الأشرف ، وسما فى علوه
وأشرف ، وكنوه بأبى النصر قانصوه الغورى ، وبه صارت مصر مشرقة
بالنورى ، وقيل :

(١) يعنى : لم يتفق المجلس على أمر .

ألا إنما الأقسام تحرم ساهراً وأخر يأتي رزقه وهو نائم

ثم قدمت له فرص النوبة بالسرج الذهب والكنبوش . فركب من على سلم الحراقة التي بباب السلسلة، فتقدم قيت الرجبي وحمل القبة والطير على رأسه، وقد ترشح أمره إلى الأتابكية . فركب الخليفة عن يمين السلطان، ومشى بين يديه الأمراء وهم بالشاش والقماش حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك والباقي للزوال نحو من خمسة وعشرين درجة، وكان الطالع بالسرطان، فأول من قبل له الأرض قيت الرجبي، ثم بقية الأمراء شيئاً فشيئاً، ثم أخلع على الخليفة ونزل إلى داره وأخلع على مصر باي وقرره في الدوادارية الكبرى والوزارة والأستادارية عوضاً عن نفسه؛ فنزل إلى داره في موكب حافل . ثم دقت له البشائر بالقلعة، ونودي باسمه في القاهرة، وارتفعت الأصوات له بالأدعية الفاخرة، وزال ما كان من الشكوك والظنون، وأقرت من الناس بسلطته العيون، فكانت سلطته على غير القياس، وأشيع بأن بنيانه على غير أساس، فصار منه بعد ذلك الهزل جد، ومكث في السلطنة مكثاً جاوز الحد، فزال عنه الأضرار والبأس، وامتلات منه أعين الناس، فتولى الملك وله من العمر نحو من ستين سنة ولم يظهر بلحيته الشيب حتى عد ذلك من جملة سعيه^(١).

٤ - الغوري قبل السلطنة:

الغوري جركسى من مملوكى السلطان قايت باي، أعتقه وولاه بعض الأعمال في حاشيته حتى جعل كاشفاً للوجه القبلى سنة ٨٨٦، ثم جعل أمير عشرة السنة التالية، ثم ولى بعض الولايات فى الشام وما يتصل بها من بلاد

(١) ابن آياس حوادث سنة ٩٠٦ .

العواصم . وما زال يتقلب فى المناصب ويرتقى أيام محمد بن قايت باى ومن بعده حتى ملك طومان باى وهو بالشام والغورى فى صحبته . فلما رجع إلى القاهرة ولّى الغورى ما كان يليه هو من الأعمال : الدواديرية الكبرى والوزارة والأستادارية .

٥ - حليته وأخلاقه وطرف من سيرته:

وكان فيما وصفه ابن اياس : " طويل القامة ، غليظ الجسد ، ذا كرش كبير ، أبيض اللون ، مدور الوجه ، مشحم العينين ، جهورى الصوت ، مستدير اللحية ، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلاً .

وكان ملكاً مهيباً جليلاً مجلاً فى المواكب ، ملء العيون فى المنظر " (١) .

وكان يميل إلى الآبهة فى ملابسه ومواكبه ، كما كان ميالاً للتنقم ، مولعاً بالفنون الجميلة .

قال ابن اياس :

" وكان يلبس فى أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والماس وعين الهر .

وكان مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والبخور ، وكان ترقاً فى مأكله ومشربه وملبسه ، ويحب رؤية الأزهار والفواكه .

وكان مولعاً بغرس الأشجار ، وحب الرياضيات ، وسماع الأطيّار المغردة ، ونشق الأزهار العطرة والبخور .

(١) ج ٦ ص ٨٥ حوادث سنة ٩٢٢ .

وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء، وكان يستعمل الأشياء المفرحة، وكان نهماً فى الأكل، وكان يغوى طيور المسموع" (١).

هذه صفات تدل على رقة الطبع، ودقة الأحساس، والولوع بالجمال، والاستمتاع بالعيش.

ومن كانت هذه صفاته يبعد أن يكون ظالماً جباراً سفاكاً للدماء، قاسياً على الضعفاء.

ونحن نجد فى تاريخ الغورى ما يصدق هذه الخلايا. فأما كلفه بغرس الأشجار والأزهار واقتناء الطيور. وما يتصل بهذا من تشيد الأبنية وتجميلها فسيأتى بيانه.

حبه الموسيقى والغناء:

وأما ولعة بسماع الموسيقى والغناء ومعرفته بهما؛ فقد اتفق على ذلك المؤرخون وشهدت به سيرته. فهو إذا أراد الاستراحة من عناء الملك خرج إلى مقياس الروضة أو قبة الأمير يشبك، التى فى حدائق القبة الآن، وأحضر خواصه وبعض المغنين والعازفين. وكثيراً ما كان يستصحب المطربين فى أسفاره.

يقول ابن اياس فى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥:

"وفيه كان موكب العيد حافلاً، وأوكب السلطان على العادة. فلما انقضى يوم العيد نزل السلطان فى اليوم الثانى من العيد، وتوجه إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية، وأقام هناك إلى بعد العصر. ووافق ذلك

(٦) حوادث سنة ٩٢٢ ص ٨٦.

اليوم بالمطرية، وأقام هناك إلى بعد العصر. ووافق ذلك اليوم عيد النصارى وأول الخماسين، فانشرح هناك، ومد أسمطة حافلة. وحضر عنده جماعة من المغانى وأرباب الآلات. ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص؛ فقام ورقص بين يدى السلطان فرسم له بمائة دينار".

ويقول فى حوادث المحرم سنة ٩١٨:

"وفى يوم الأحد وهو يوم عاشوراء، نزل السلطان وتوجه إلى نحو المقياس، وجلس فى القصر الذى أنشأه هناك، وكان معه جماعة من الأمراء، فأقام هناك إلى قريب المغرب وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية، ومد هناك أسمطة حافلة. وأحضر بين يديه مغانى وأرباب آلات. ثم أن شخصاً مضحكاً يقال له على باى، الذى يعمل عفريتاً فى المحمل، قام فرقص. ثم سحب الوالى كرتباى فرقصه، ثم سحب أمير آخور ثانى أقبای الطويل فرقصه. ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقصه، ثم سحب عبد العظيم الصير فى فرقصه، وكان جسيماً فضحك عليه السلطان. ونشروا بين يديه أشياء من أنواع الورد والزهر والفاكهة ومجامع الحلوى؛ فتخاطف ذلك المماليك. وابتهج فى ذلك اليوم".

وفى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٨، يذكر ابن إياس سفر السلطان إلى الفيوم، ويقول فى أثناءه:

"ولما نزل السلطان من القلعة توجه نحو المقياس وبات به ليلة السبت. فلما طلع النهار عدى من هناك وطلع على بر الجيزة وتوجه إلى الوطاق^(١)

(١) أصل أوتاق بالتركية موقد النار. وتقال على الدار والمخيم.

الذى نصبه عند الأهرام. وقيل إن السلطان أخذ معه جماعة من المغانى وأرباب الآلات. فمنهم محمد بن عوبنه العواد، وجلال السنطيرى والبوالقة، وأبن الليمونى، وغير ذلك من المغانى".

وذكر الشريفى مترجم الشاهنامه عناية السلطان بالموسيقى، واستصحابه كبار الموسيقيين.

وللسلطان موشحات وألحان كان يغنى بها فى عصره سنذكر بعضها بعد.

ألعابه:

وكان يلهاوا أحيانًا بنطاح الكباش والثيران.

يقول ابن أياس فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٢.

"وفى يوم الثلاثاء خامسة، كان ختام ضرب الكرة بالميدان. فلما انتهى ذلك احضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدامه".

وفى حوادث ربيع الآخر ٩١٨:

"وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه كان ختام ضرب الكرة بالميدان - وكانت جماعة من هؤلاء القصاد حاضرين^(١). فلما انتهى ضرب الكرة قام السلطان وطلع إلى الخوش وجلس بالمقعد، وأحضروا قدامه ثيران يتناطحون وكباش".

"وفى يوم الأربعاء ثامن رمضان نزل السلطان وتوجه على نحو المطعم

(١) يعنى رسل الملوك.

بالريدانية، وجلس على المصطبة التى هناك، وأطلقوا قدامه الكلاب والصقورة والقهودة، أنشرح فى ذلك اليوم، ثم عاد إلى القلعة من يومه".

وكان السلطان مواظبًا على لعب الكرة فى موسم معروف، وكذلك كانت عادة سلاطين المماليك وكثير من ملوك مصر والدول الإسلامية، نجد فى حوادث كل سنة من تاريخ ابن أياس: "وفى يوم كذا بدأ السلطان بضرب الكرة، وفى يوم كذا كان ختم الضرب الكرة".

موائده:

وأما احتفاله بالطعام وموائده: فيظهر من وصف مادبه للسفراء ولأعيان مملكته، ومنن مادب أعيان الدولة له.

يقول ابن أياس فى حوادث المحرم سنة ٩١٥:

"ومن الوقائع اللطيفة أن فى يوم الخميس ليلة الجمعة خيامس عشرة، نزل السلطان إلى الميدان، ونصب به خيمة كبيرة مدورة، وملأ البحيرة التى أنشأها هناك من ماء النيل، من المجرة التى أنشأه، ثم رسم بجمع كل ورد فى القاهرة ووضع فى تلك البحرة. وجمع قراء البلد قاطبة والوعاظ. وعلق أحمالاً بها قناديل، وفرش حول البحرة الفرش الفاخرة، وعزم على القضاة الأربعة، وسائر الأمراء من كبير وصغير، وأرباب الوظائف من المباشرين، وأعيان الناس قاطبة. وبات السلطان تلك الليلة بالميدان. وبات عنده الأتابكى قرقماس، وجماعة من الأمراء.

ومد تلك الليلة أسمطة خافلة أعظم من سماط المولد. فمد فى السماط أربعمائة صحن صينى. ورسم بأن تعمل المأمونية الحسوية وكل قطعة نصف

رطل. وكان من الأوز والدجاج والغنم ما لا ينحصر. ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل، ومن الدجاج ألف طير، ومن الأوز خمسمائة طير، ومن الغنم المعاليف خمسين معلوقًا، ومن الرمان الرضع أربعين رميساً^(١)؛ حتى قيل صرف على ذلك السماط فوق الألف دينار، بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر وغير ذلك، وكانت ليلة مشهودة".

وكذلك نجد أعيان الدولة يسرفون في الأسمطة التي يحضرها السلطان؛ فقد أدب القاضي كاتب السر محمود بن أجا للسلطان ورجال الدولة عند مقياس الروضة، مأدبة انفق فيها سبعمائة دينار^(٢).

مواكبه وزينته:

وكان الغورى يميل إلى الأبهة في زينته وموكبه على شدة حاجته إلى المال.

ووددت أن أمتع القارئ بوصف أحد الموكب بلغة ابن أياس لولا ضيق المجال، فليرجع من شاء إلى الجزء الخامس ص ٢٧٦، ٤٢١.

ولكنى لا أستطيع إغفال زينة من زينات الغورى، يرى القارئ في وصفها صورة من معيشة القاهرة في ذلك العصر:

يقول ابن إياس في الحديث عن ذهاب السلطان إلى المقياس وإقامته هناك يومين في جمادى الآخرة سنة ٩١٨:

"ثم إن السلطان أوقد في قاعة المقياس وقده حافلة، باطنًا وظاهرًا،

(١) الرميس: الحمل في لغة بعض البلاد المصرية.

(٢) ابن إياس: جمادى الآخرة سنة ٩١٨.

وعلق أحمال بقناديل فى القصر الذى أنشأه هناك، وعلى شرفات المقياس قناديل فى أحمال أو أمشاط حتى أوقد جامع المقياس والمأذنة .

ثم إن سكان بر مصر^(١) وبر الروضة علقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال والأمشاط بطول البرين، حتى أوقدوا المربع الذى أنشأه السلطان للسواقى تجاه بر الروضة^(٢) .

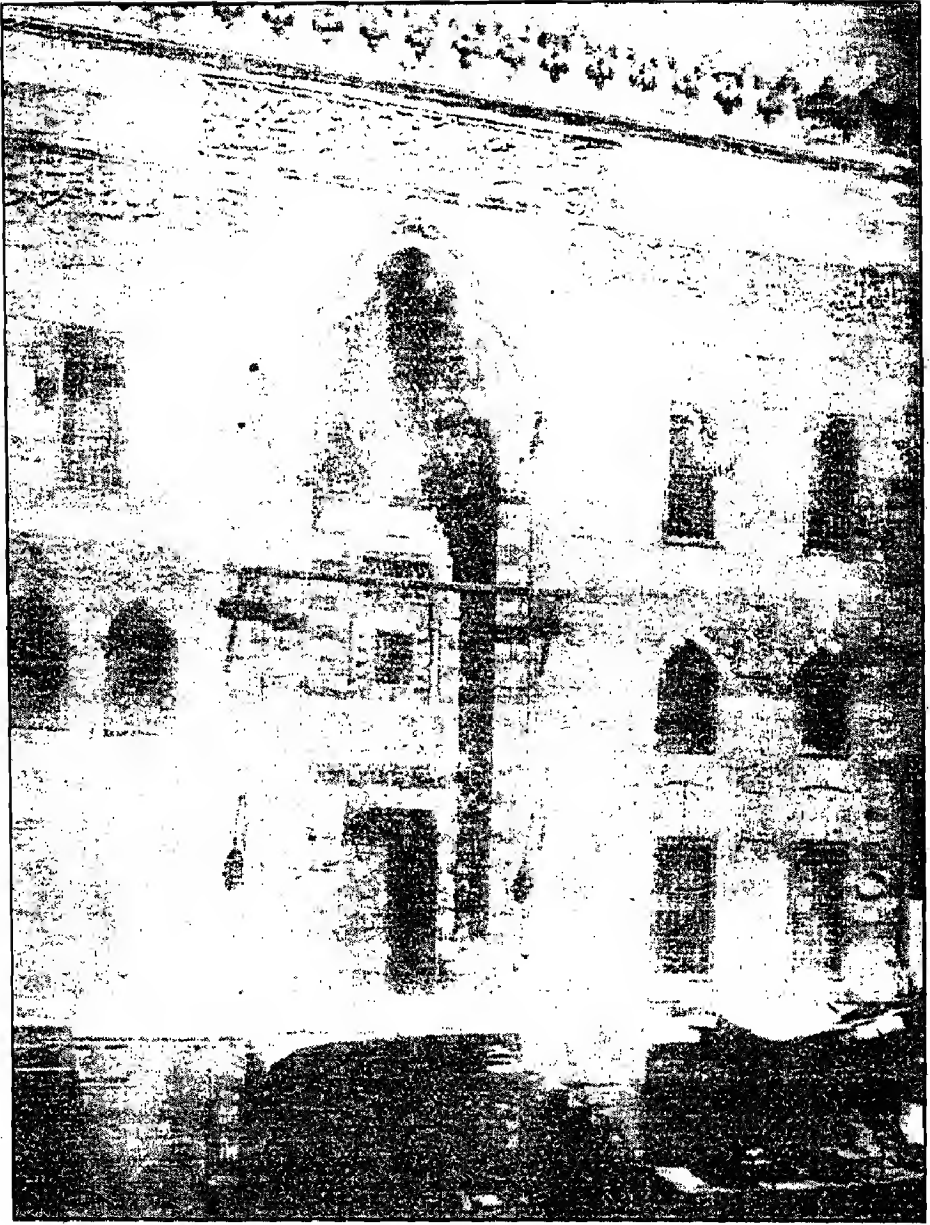
ثم أحضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمره وأصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار، فأرسلوا به قبلاه المقياس، وصنعوا له ثمانى مراسى فى البحر وعلقوا فى صواريه القناديل فى الأمشاط؛ فكان الذى وقد فى المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت وعشرة آلاف قنديل . ثم صنع السلطان فى تلك الليلة إحراقه فكان مصروفها نحواً من مائة وسبعين دينار مثل إحراقه نפט المحمل التى كانت تصنع بالرملة قدام القلعة^(٣)، فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف، وقدامه الطبول والزمور؛ فكان عدة قلاع النفط خمسون قلعة والمواذن ستون مأذنة، وأزيار عشرة، وجرار أربعين جرة، وصواريخ كبار ثلاثمائة، وماويات ألف ومائتين، وشجرات عشرة، وتنانير عشرين، وقطع ألفان، وشعل أربعين . فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ البحر أنزلوه فى خمسين مركب، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البسطة، ورسم السلطان للأمراء المقدمين بأن يحضروا طلبخاناتهم فى مراكب عند المقياس؛ ففعلوا ذلك . فكان حس الطبول والزمور مع الكوسات^(٤) مثل صوت الرعد

(١) يغنى مصر القديمة .

(٢) يظهر أنه البناء القائم اليوم على مقربة من النيل عند فم الخليج .

(٣) يعلم من هذا أن الزينات والألعاب النارية التى تشغل فى حفلات المولد النبوى اليوم بدعة قديمة .

(٤) الكوسات جمع كوس وهو بالفارسية الطبل الكبير .



باب جامع الغورى فى شارع الغورية

القاصف. فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس والأمراء حوله وأحرقوا قدامه النفط، وكان النيل فى ثلاثة أصابع من عشرين ذراع. وكانت ليلة البدر فدقت كوسات السلطان مع كوسات الأمراء المقدمين، وهم أربعة وعشرون مقدم ألف. فقاموا فى صعيد واحد عند إحراق النفط؛ فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم، ولم يقع لأحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة، ولا للمؤيد شيخ، ولا للناصر فرج بن برقوق".

عماراته:

وأما كلفه بتشييد الأبنية والتأنيق فيها؛ فتدل عليه آثاره القائمة اليوم، وما حدث التاريخ عن آثاره التى درست.

أنشأ الجامع والقبّة والمكتب والسبيل التى فى الغورية، وجامعاً عند القلعة، وبنى خان الخليلي، وخائناً وأحواضاً فى طريق الحاج عند العقبة، ورباطاً ومارستاناً فى مكة، وقصرأ عند المقياس فى الروضة، وأنشأ الميدان عند القلعة، وأحواضاً وأبنية فيه.

وعمر قاعة البيسرية وقاعة العواميد والدهيشة فى القلعة، وأنشأ قناطر وأبنية أخرى.

فأما الجامع فلا يزال قائماً بالغورية، ملتقى شارع الغورية (الذى سمي شارع المعز لدين الله)، وشارع الأزهر، وتحت السوق المعروفة باسم التريعة".

وننقل هنا ما يروى ابن اياس فى إتمام هذا الجامع والصلاة فيه أول مرة:

وفى ربيع الآخر (٩٠٩) فى يوم الجمعة مستهله خطب فى جامع

السلطان الذى أنشأه فى الشرايشيين. وقد تم بناؤه وجاء فى غاية الحسن



باب قبة الغورى فى شارع الغورية

والتزخرف . وصنع به مأذنه لها أربعة رؤوس . وهو أول من اتخذ ذلك . . . فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضى قضاة دمشق الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقى الشافعى . فلبس السواد وخطب ، وكان المرقى قدامه القاضى عبد القادر القصروى . وحضر فى ذلك اليوم الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة . وهم برهان الدين بن أبى شريف الشافعى ، وعبد البر بن الشحنة الحنفى ، وبرهان الدين الدميرى المالكى ، والشهاب الشيشينى الحنبلى . وحضر غالب الأمراء المقدمين ، وولد السلطان المقر الناصرى ، وأعيان المباشرين قاطبة ، واجم الخفير من الأمراء العشرات والخاصكية ، وأعيان الناس ، وزينت الشرابشين فى ذلك اليوم ، وكان يوماً مشهوداً ، وأخلع السلطان فى ذلك اليوم على قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة ، كونة حكم بصحة الخطبة فى هذا الجامع . وأخلع على أينال شاد العمارة خلعة حافلة ، وأنعم عليه بإمره عشرة ، وأخلع فى ذلك اليوم على عدة من المهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممن كان بالجامع . وأنعم على الفعلاء لكل واحد بألف درهم .

ثم فى الجمعة الثانية رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البر ابن الشحنة بأن يخطب فى هذا الجامع ، فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة^(١) .

وفى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١١ يقول ابن أياس : " وفيه مالك مأذنة جامع السلطان الذى أنشأ بالشرابشين . فلما تشققت وآلت إلى السقوط رسم بهدمها . وقد ثقلت من علوها ، كون أنها بأربعة رؤوس . فلما هدمت أعيدت على الصحة . وقد بنى علوها بالطوب ، وضعوا عليه قاشانى أزرق .

(١) ابن أياس ج : ص ٥٨ ، ط استنبول .

وتجاه جامع الغورى يرى الآن بناء آخر يساميه، ويشابهه فيه قبه الغورى وقاعة كبيرة للدرس، وسبيل وكتاب وحجرات قليلة. وتحت هذه الأبنية مخازن، ووراءها فناء به قبول بجانب الجدار القبلى، ويؤخذ من ابن أياس أن بعض زوجات السلطان وأولاده والسلطان طومان باى بأى الأخير دفنوا هناك. وفى ابن أياس أخبار كثيرة عن أبنية الغورى. ومما قاله عن المدرسة:

"وقع للغورى أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك؛ منها بأنه نقل الآثار الشريف النبوى من مكانه الذى كان به المطل على بحر النيل فجعله فى مدرسته حتى عد ذلك من النوادر.

وقد تعب الصاحب بهاء الدين بن بحنا فى نقل هذه الآثار الشريف، وكان عند جماعة من بنى إبراهيم بالينبع، فلا زال يتطلف بهم حتى اشتراه منهم بستين ألف درهما بالدراهم القديمة، ثم نقله إلى الديار المصرية وبنى له مسجداً مطلاً على بحر النيل^(١). وكان الناس يقصدون الزيارة إليه فى كل يوم أربعاء. فلما تلاشى أمر ذلك المكان الذى كان به الآثار الشريف استفتى السلطان العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبة وهذا بخلاف شرط الواقف. ثم أن السلطان نقل المصحف العثمانى إلى مدرسته أيضاً^(٢) وعد ذلك من النوادر. ثم نقل إلى المدرسة أيضاً الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التى كانت بالخانقاه البكتيرية التى بالقرافة. قيل أن مشتراها على الواقف ألف دينار. ولم يكتب نظير هذه الربعة سوى ربعة أخرى بخانقاه سرياقوس اشتراها الملك الناصر محمد بن قلاوون بألف دينار أيضاً، وأخرى بالمدينة الشريفة.

(١) أظنه المسجد المطل على النيل فى الساحل المسمى أثر النبى.

(٢) يذكر هذه المصحف فى كتاب الكوكب الدرى ص ٤٤ وأظنه المصحف المحفوظ فى الجامع الحسينى اليوم.



صورة قديمة تبين الشارع بين جامع الغورى والقبة. رسمها بعض السائحين
وترى فيها السقيفة التى كانت فوق الشارع

وقد وقع للأشرف قانصوه الغورى فى مدرسته من المحاسن ما لا وقع لأحد قبله من الملوك، وحاز فيها أشياء غريبة عزيزة الوجود.

ولما نقل الآثار الشريف والمصحف العثمانى إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدامه القضاة الأربع والأتابكى قيت، وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا والأعلام وهم يذكرون...

وفى ذلك اليوم أخلع على الشيخ برهان الدين ابن أبى شريف وقرره فى مشيخة هذه المدرسة. وقد صرف عن قضاية القضاة، وأنفرد بمشيخة مدرسة السلطان واستمر بها إلى الآن^(١).

ويصف الشريفى الشاعر، الذى ترجم الشاهنامه إلى اللغة التركية بأمر الغورى، عمارات السلطان وصفاً شعرياً يدور على الخيال والمبالغة، ولكنه ينم عن حقائق. فهو يصف القبة ويبين علوها، وأنها لونت باللون الأزرق. ويصف الجامع والسوق التى تحته، ويصف الخانقاه التى بجانب القبة وهى القاعة الكبيرة الجميلة التى إلى يسار الداخل. ويقول فى هذه الخانقاه: " يقرأ فيها العلم الألهى، ويتلى القرآن والأوراد فى الأسحار، ولها شيخان وثمانون صوفياً يقرءون مرتين كل يوم، وبها مائتان من أصحاب الوظائف (يعنى الجرايات) منهم من يعطى الخبز كل يوم ومنهم من يعطى وظيفته مشاهرة^(٢) .

ويقول فى السبيل الذى يلاصق الخانقاه: "وبجانب الخانقاه سبيل كأن ماءه سلسبيل، يشرب الناس منه ليل نهار وفيه خدام لا يغيبون نهاراً ولا ليلاً؛ فإذا غاب أحد السقاة أناب غيره " .

(١) ابن أياس حوادث جمادى الأولى سنة ٩١٠.

(٢) انظر كذلك كتاب نفائس المجالس ص ٦٠.



باب من آثار الغوري يرى اليوم في شارع الصليبية
متصلا بدار أحمد بك إحسان

ويقول فى المكتب الذى فوق السيل: "وبنى فوق السيل مكتباً يقرأ فيه الأيتام إلى العصر، وفيه مؤدب يعلمهم ويربيهم".

وكذلك نجد الكلام عن عمارات السلطان فى كتاب النفائس (١).

ولعه بالحدائق والأزهار:

وأما ولعه بالحدائق والأزهار وإجراء المياه فى الحدائق واتخاذ الحواض والنافورات فيدل عليه ما فعل فى ميدان القلعة.

وهذا الميدان وصفه الشاعر الشريفى، وذكره ابن أياس كثيراً. يقول فى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٤:

"وفيما كان انتهاء العمل من المجرة التى أنشأها السلطان كما تقدم فدارت هناك الدواليب وجرى الماء فى المجرة حتى وصل إلى الميدان الذى تحت القلعة.

ثم إن السلطان صنع هناك سواقى نقالة، وبني ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء النيل برسم الممالك الذين يلعبون الرمح فى الميدان، وشرع فى بناء بحرة فى وسط ذلك البستان الذى أنشأ بالميدان فكان طول تلك البحرة نحواً من أربعين ذراعاً، وقيل أكثر من ذلك. وبني هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان".

وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥.

"وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرمها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك

(١) ص ١٢٦ وما يليها.

من الأزهار الغريبة . ولقد عاينت به ورداً أبيض ذكى الرائحة وهو غير أنواع
الورد التى بمصر وقد نقل من الشام ، وكان يطرح فى أوان الصيف والنيل فى
قوة الزيادة ، وهو نوع غريب لم يوجد بمصر .

فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطمعة بالعاج والأبنوس ويفرش
فوقها مقعد مخمل ينطع ، ويجلس عليه ، وتظله فروع الياسمين ، وتقف حوله
الممالك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه . ويعلق فى الأشجار أقفاص فيها
طيور مسموم ما بين هزازات ومطوق وبلايل وشحارير وقمارى وفواخت
وغير ذلك من طيور المسموع . ويطلق بين الأشجار دجاج حبش ويط صينى
وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة - إلى أن يقول - وقد صار هذا الميدان
جنة على الأرض .

تدينه وبره بالفقراء

كان الغورى ديناً محافظاً على فروض الدين ، شديداً على من يفرط
فيها ، وكان يعد من علماء الدين فى مصر . كما يتبين فيما يأتى .

وكان كلما حزبه أمر أو حلت بالبلاد قارعة أو خشى عليها نازعة فزع
إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإلى قراءة القرآن والحديث والدعاء ،
والبخارى يقرأ فى رمضان ويختلف بختمه فى القلعة ، وهى سنة قديمة .

يقول ابن أياس فى حوادث رجب سنة ٩١٥ :

وفى رجب نادى السلطان بألا يتجاهر الناس بالمعاصى ، ولا يمشى
بسلاح بعد المغرب ، وأن الناس يواظبوا على الصلوات الخمس فى الجوامع .
وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥ أن النيل زاد فى هاتور ثمانية أصابع

فتضرر الناس، " فرسم السلطان للقضاة الأربع بأن يتوجهوا إلى المقياس، ويدعوا إلى الله تعالى في هبوطه. فتوجهوا هناك وباتوا بالمقياس. وقرأ السلطان تلك الليلة ختمة شريفة ومد أسمطة حافلة، فأنهبط في تلك نحو من نصف ذراع. فعُد ذلك من الوقائع الغريبة".

ويصف الشريفى صلاة السلطان وتهجده بالليل ودعائه، فى خاتمة الشاهنامة^(١).

وكان برا بالفقراء كثير الصدقات. أنشأ رباطاً ومارستاناً فى مكة ورباطاً فى مصر، وأجرى فيها الصدقات.

كان يحب أن يتصدق على الفقراء بيده؛ نجد فى ابن أياس مثل هذه الحوادث:

المحرم سنة ٩١٢: " وفيه فى يوم عاشوراء أمر السلطان بأن تجمع الفقراء والخرافيش عند سلم فاجتمع هناك الجم الغفير من الفقراء والخرافيش ونزل السلطان بنفسه ووقف وهو راكب على فرسه تحت سلم المدرج، وصار يعطى لكل إنسان من الفقراء من رجل وامرأة وكبير وصغير اشرفى ذهب، فوقع الأزدحام بين الفقراء حتى قتل منهم ثلاثة أنفار، من شدة ازدحامهم، فكان كما يقال فى المعنى.

فيالك من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل.

وقيل أنه فرق فى ذلك اليوم نحواً من ثلاثة آلاف دينار فبارتفعت الأصوات له بالدعاء. فلما رأى ازدحام الفقراء لم يتزل مرة أخرى ولم يفرق شيئاً، وكان قصده يفرق على الفقراء مرة أخرى".

(١) س ١١٦٣ - ٦٤.

فى رمضان سنة ٩١٥ : "نزل السلطان إلى الميدان فوقف إليه جماعة من المغاربة نحو من سبعين إنسان ما بين رجال ونساء وقد قصدوا الحج فى هذه السنة، فرسم لهم السلطان بأشرفى لكل واحد منهم ثمن بقسماط".

وقاؤه:

وكان وفياً برأ بأصحابه وأولياء نعمته؛ بقى طول عمره يذكر سيده قايتباى بالخير ويعظمه. قال ابن أياس فى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٥: "نزل السلطان وسير وتوجه إلى نحو تربه الأشرف قايتباى فنزل عن فرسه ودخل وزار قبره وبكى هناك وتمرغ على قبره، وقرأ له الفاتحة ثم رسم للبوابين وللصوفية بمائة دينار".

ونجد فى كتاب النفائس تعظيمه قايتباى^(١).

ونجد فى موضع آخر حزنه على أحد رجال دولته وهو الأشرف قرقماس. يقول ابن أياس فى وصف جنازته (رمضان سنة ٩١٦): " فلما وصل إلى سبيل المؤمن خرج السلطان من الميدان وهو راكب وأتى إلى سبيل المؤمن، فنزل عن فرسه ودخل للصلاة؛ فلما وضعوا نعشه بين يديه قبله وهو فى النعش وبكى عليه بكاء كثيراً. فلما صلوا عليه حمل نشعه ومشى به خطوات حتى أخذه منه الأمراء".

محاسن الغورى كما أجملها ابن أياس:

يقول ابن أياس فى حوادث رمضان سنة ٩٢٢: "فأما ما عدا من محاسنه؛ فإنه كان رضى الخلق يملك نفسه عند الغضب، وليس له بادرة

(١) النفائس ص ١١١.

بحده عند قسوة خلقه . ومنها أنه كان له اعتقاد زائد فى الصالحين والفقراء .
ومنها أنه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم . ومنها أنه كان ماسك
اللسان عن السب للناس فى شدة غضبه . ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب
سماع الآلات والغناء ، وله نظم على اللغة التركية . وكان مغزماً بقراءة
التواريخ والسير ودواوين الأشعار . وكان قريباً من الناس يحب المزاج والمجون
فى مجلسه^(١) ، غير كثيف الطبع فى ذاته . وكان عنده لين جانب ورياضة
بخلاف طبع الأتراك ، ولم يكن عنده شمم ولا تكبر نفس .

مساوئ الغورى:

كان الغورى فى حاجة إلى مال كثير ينفق منه على الجند ليسكن ثوراتهم
المتكررة ، وليزود الجيوش التى يرسلها إلى أطراف المملكة وإلى الهند ، كما
يتفق فى بناء الأساطيل . وكانت التجارة قد كسدت بما أخاف الفرنجة سبل
البحار . وفى صفحات ابن أياس أمثلة من الحوادث التى أكسدت التجارة فى
عهد الغورى ؛ فى حوادث المحرم سنة ٩٢٠ :

"وكان فى تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص فى
غاية الأنشحات والتعطيل . فإن بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه
البضائع فى السنة الخالية ، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الأفرنج على
التجارة فى بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحواً من
سنة سنين . وكذلك جهة دمياط " .

ويقول فى حوادث ذى الحجة من السنة عينها ، أثناء الكلام فى سفر
السلطان الغورى إلى الإسكندرية يؤمئذ أحد من أعيان التجارة لا من المسلمين

(١) انظر بعض فكاهاته فى الكواكب الدرى ص ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٦ .

ولا من الفرنج، وكانت المدينة فى غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجود القباض؛ فأنهم صاروا يأخذوا من التجار العشر عشرة أمثال فامتنع بحار الفرنج والمغاربة من الدخول إلى الثغر؛ فتلاشى امر المدينة وآل أمرها إلى الخراب حتى قيل طلب الخبز بها فلم يوجد ولا الأكل، ووجد بها بعض دكاكين مفتحة والبقية خراب لم تفتح".

لهذه اشتدت حاجة السلطان إلى المال واشتد حرصه على جمعه وكثرت مصادراته، وأسف فيها إلى درك لا يلائم همته وسيرته.

يقول ابن أياس فى حوادث جمادى الأولى سنة ٩١٦:

"وفى هذه الشهر كثرت مصادرات السلطان للمباشرين، حتى إنه صادر عرب اليسار الذين يسكنون تحت القلعة، وقرر عليهم مال له صورة وقال لهم أنتوا عملتوا كيما تراب تحت القلعة من عفشكم ما يشالك ولا بعشرة آلاف دينار، وجعل ذلك حجة عليهم".

وفى حوادث رمضان سنة ٩١٨:

"وفيه كان ما وقع لرئيسه المغانى، وهى امرأة يقال لها هيفة اللذيذة. وقد رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من المال، ولها حلة للكبرا. فلما سمع السلطان ذلك قبض عليها وأقامت فى الترسيم، وعرضت للضرب غير مأمرة، وقرر عليها خمسة آلاف دينار؛ فباعته الحلى وجميع ما تملكه وأوردت ألف دينار. وقد تكلم لها القاضى بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ترد فى كل شهر مائة دينار على كل جامكية^(١). وقد طفل السلطان نفسه إلى مصادرة المغانى أيضاً والأمر لله".

(١) الجامكية ما يرتب للجند وغيرها من المال أو الطعام واللباس وأحسبه مأخوذاً من لفظ الحجة بالفارسية.

وكان المال وسيلة إلى المناصب حتى مناصب القضاء أحياناً. فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٠:

"وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له طراباى. وكان طراباى هذا ولى الأتابكية بحلب، ثم حضر إلى مصر وسعى فى نيابة صفد بمال له صورة حتى تولاهما".

وفى ذى الحجة سنة ٩٠٦:

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة عزل قاضى القضاء زين الدين زكريا الشافعى عن القضاء، وهذا كان آخر عزله وولايته، وقد كف بصره عقب ذلك.

فلما عزل زكريا سعى محبى الدين بن عبد القادر بن النقيب فى عوده إلى القضاء. وقد أورد مال له صورة. فأخلع عليه، وأعيد إلى القضاء. وأكثر مساوئ الغورى ترجع إلى كثرة نفقاته وقلة دخله واضطراره إلى أخذ الأموال بكل الوسائل.

وإذا رجعنا إلى ابن أياس نجد جل المساوئ التى ذكرها، من هذا القبيل^(١). ولولا هذه الضرورات لبرئت سيرة هذا الرجل الهمام مما اقترف من هذه المصادرات.

مكانة الغورى من معارف عصره:

لم تكن المعارف منتشرة مزدهرة فى مصرى فى عصر الغورى. وإذا نظرنا إلى الأبحاث والمجادلات التى كانت فى مجالس هذا السلطان، عرفنا

(١) حوادث رمضان سنة ٩٢٢.

ضيق الأفكار وقلة المعارف، والولع بسفاسف الأمور والقصور عن جلائها.

ولكن ينبغي ألا نعد هذه المجالس مصورة معارف علماء مصر فى ذلك العهد، فإن كبار العلماء كانوا يتورعون عن هذه المجالس. فقد عاش بمصر فى عصر الغورى علماء كبار مثل جلال الدين السيوطى، والسخاوى، والقسطلانى، وزكريا الأنصارى، ولم تذكر أسماؤهم فى هذه المجال؛ بل القضاء الأربعة الذين يذكرون كثيراً فى شئون ذلك العصر، ولهم بالدولة والسلطان صلة مستمرة، قل أن يذكر أحدهم فى مجالس الغورى.

ويتبين من تاريخ الغورى، ومن أقواله التى يتضمنها الكتابان: نفائس المجالس والكوكب الدرى، ومما كتبه الشريفى مترجم الشاهنامة، أن السلطان كان ذا حظ من العلوم الدينية: التوحيد والفقه والتفسير، مشاركاً فى علوم العربية: النحو والبلاغة وغيرها، وأنه كان مولعاً بقراءة كتب التاريخ والسير والقصص، وأنه كان ذا ملكة يفهم بها الأدب وترين له أن يشارك فى النظم أحياناً، وأنه كان مولعاً بالموسيقى والغناء، وكان له نظم وألحان يتغنى بها، وأنه كان يعرف لغات عدة.

وعناية السلطان بالعلم والأدب ومشاركته فيهما، وولعة بمطالعة الكتب، مهدت السبيل لمبالغة المادحين، وتحيل الشعراء.

يقول الشريفى فى خاتمة الشاهنامة:

له سوز أكلسة علم ومعرفتدن

سن أنك عارفيسن هرجهتدن

ذلك هر معرفتدن أولدى محظوظ

ضمير كدر صناسن لوح محفوظ

"ما تذكر كلمة من العلم والمعرفة إلا أنت محيط بها. وقد أوتى قلبك

حظاً من كل معرفة، كأن ضميرك اللوح المحفوظ".

ويقول:

نه فن أولسه سنك أنه ألك وار

له يردن سوز آجلسة مدخلك وار

نجه مشكل كه أورلمز أكا أل

سن إيلرسن أنى إدراكله حل

أكر إنشأ أكر شعر وغز لدر

أكر علم وأكر بحث وجد لدر

كرورز طابك أنه بحر زاخر

سزوكه خلق حيران أول آخر^(١)

"لك يد فى كل فن، لك مشاركة فى كل موضوع، وكم مشكل لا

تناله الأيدى حللته بإدراكك، الإنشاء والشعر والغزل والعلم والبحث

والجدل، كل هذه نراها فيك بحراً زاخراً. لقد تحير الخلق فيك".

وفى مقدمة الكتابين الآتين ما يبين عن غلو المؤلفين فى مدح السلطان

بالعلم وسعة المعرفة^(٢).

(١) الشاهنامة ص ١٦١ ، ٦٢ .

(٢) انظر كذلك الكواكب الدرى ص ٤٢ .

فأما مشاركته في العلوم الدينية، فدليلها في صفحات الكتابين، لا تخلو منه بضع صفحات متتابعة. ولست في حاجة إلى التمثيل هنا؛ فحسب القارئ أن يلقي نظرة على بعض الصفحات. وفي الشاهنامة مدح السلطان بمعرفة الفقه والتفسير وأنه يديم مطالعة التفاسير.

وأما مشاركته في علوم العربية فتدل عليها بعض المجالس، كالمجلس الثامن من كتاب النفائس^(١)، والسؤال الذي في آخر صفحة ٦٣ من الكواكب الدري.

وأما ولوعة بالتاريخ والسير والقصص؛ فقد أخبرنا به ابن أياس^(٢) وقد أخبرنا به كذلك الشريف مترجم الشاهنامة، يقول:

تواريخ وحكايا تيله أخبار اقينر صحبتندة جملة تکرار

"تقرأ في صحبته دوماً التواريخ والحكايات والأخبار".

ويقول في سبب ترجمة الشاهنامة، إن السلطان كان مولعاً بالقراءة وعنده خزانه فيما ضروب الكتب. وكان فيها نسخة من كتاب الشاهنامة، فأمره بترجمتها إلى التركية إلخ.

وفي الكتابين اللذين نقدم لهما هذه المقدمة ما يصدق قول ابن أياس والشريف. ومن أمثلة هذه ما في صفحة ٦٦، ١٣٠ من كتاب النفائس. وفي الكواكب الدري أن إسماعيل الصفوى أهدى إلى الغورى كتاب تاريخ التتار^(٣).

(١) النفائس ص ٢٠.

(٢) حوادث رمضان سنة ٩٢٢، وص ٢٣ السابقة.

(٣) الكواكب، ص ٧٣.

وأما بصرة بالشعر والغناء والموسيقى، وقدرته على المشاركة فيها؛ فقد أخبرنا بهما ابن أبياس والشريفى مترجم الشاهنامة، ودل عليهما ما أثر من نظم السلطان وموشحاته.

فأما ابن أبياس؛ فقد نقلنا أنفاً قوله، وهو يعدد محاسن الغورى:
"ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء، وله نظم على اللغة التركية" (١).

وأما الشريفى، فقد قدمنا قوله فى معرفة السلطان الشعر والإنشاء (٢)
ونزيد هنا قوله فى مقدمة الشاهنامة (٣):

نه فن او لرأسه اند ندر خير اول

هرايشده نكرى كسترمش اكابول

بار شعبر ومعمى فتنى خوب

غزل إنشا ادر دركيبى مرغوب

نبىك مدحنى توحيد بارى

دمش كم كيدر ايشيدن قرارى

"ما كان من فن فهو خير به، قد هداه الله فى كل امر طريفاً. يجيد

فن الشعر والمعمى، وله غزل مرغوب كالدر.

وقد قال فى توحيد البارى ومدح النبى ما بلغ به الغاية".

(١) ص ٣٣ السابقة.

(٢) ص ٤٠ السابقة.

(٣) الشاهنامة التركية ص ٩.

وفى كتاب النفائس ذكر موشحين من موشحات السلطان^(١).

وبين أيدينا نماذج قليلة من نظمته، وعسى أن يهدى البحث إلى منظومات أخرى، وفيما يلي إجمالى الكلام فيما لدينا من نظمته:

١ - موشح ملمع أثبتته صاحب كتاب نفائس المجالس فى آخر الكتاب. وهو عشرة أبيات، أوله:

يا إلهى بن كنه كار؛ أنت غفار الذنوب.

عيمى يوزيمه أورمه؛ أنت ستار العيوب.

قاموا إشارسا كه معلوم؛ أنت علام الغيوب.

بن فقييرية قل عنايت؛ أننى أرجو رضاك.

٢ - وقصيدتان وموشحان بالعربية وموضح تركى أثبتها الشيخ محمد راغب الطباخ فى كتابه تاريخ حلب، من مجموعة من شعر الغورى عند بعض أدباء حلب.

بالمك أنعم ربنا الرحمن وهو الكريم المنعم المتان

فله علينا الشكر حق واجب يقضيه قلب مخلص ولسان

يذكر فى هذه القصيدة أمراء دولته وجنده، ويدعو الله أن يؤلف

قلوبهم، ويجمعهم حوله.

والقصيدة الثانية ثلاثة وعشرون بيتاً، وأنشأها فى نصف شعبان، وفيها

حث على إحياء ليلة النصف، ودعاء له ولجنده ورعيته. وأولها:

(١) النفائس ص ٦٣ ، ٦٤.

لله فى أيامنا نفحات من دهرنا تزكونها الأوقات
 فيها ألا فتعرضوا وتضرعوا فيها، تجاب لكم بها الدعوات
 هذى مواسمها لنا قد أقبلت ودنا بموعدها لنا ميعقات
 وأحد الموشحين العربيين من نغم الحسينى، وهو عشر أبيات. وأوله:
 ربنا أدم لنا نعمًا جدت لى بها كرمًا
 فيضها حكى ديمًا بالغمام منهلة
 والثانى كتب فوقه: "من نغمة المصرية علو محير يهبط على عشاق
 العجم".

وهو اثنا عشر بيتًا أولهما:

جل من لنا وهبًا ملك مصر واكتسبًا
 حيث سبب السببًا فى قديم علم الله
 والموشح الثانى ملمع بين العربية والتركية، وهو عشرة أبيات أولها:
 كز لرم يا شينه رحم أيت يا رحيم

سائلى رد أيت يا رحيم

سائلى رد ايلمز هرکز كريم

رب هب لى من لذك رحمة

تب علينا أن تواب رحيم

حق جمالن استرز، جنت ندر؟

كورنر جنت بزة انسز جحيم الخ.



صفحة العنوان من كتاب الشاهنامة التركية

وأما معرفة اللغات فالعربية والتركية لا تحتاجان إلى بيان وقد ذكر الشريفى فى الشاهنامه معرفته الفارسية. وروى مؤلف النفائس أن السلطان قال فى أحد المجالس أنه يعرف كثيراً من الألسن، وعد سبع لغات^(١).

الغورى والشاهنامه:

قدم إلى مصر أحد شعراء التركية فى أواخر القرن التاسع الهجرى وأوائل العاشر، وهو رجل عربى الأصل شريف النسب اسمه حسين بن حسن بن محمد الحسينى الأمدى، ولعله فر إليها، إذ كان من المقربين إلى الأمير جم أبى السلطان الفاتح. وبقي فى مصر حتى توفى سنة ٩٢٠. ولا ندرى متى قدم إلى مصر، ولكننا نعرف أنه اتصل بالسلطان أو سنة من ملكه، فأمره بترجمة إلى التركية، مع أن السلطان يعرف الفارسية.

ولا ريب أن السلطان أراد أن يقرن اسمه بهذا الكتاب الخالد، كما اقترن به اسم السلطان محمود الغزنوى، الذى قدم إليه الأصل الفارسى، وكما اقترن به اسم الملك المعظم الأيوبى الذى أمر بترجمته إلى العربية. ٥

فى مقدمة الكتاب وخاتمته نحو الألف بيت. ويبدأ المؤلف بالتحميد ومدح الرسول والخلفاء، على سنة شعراء الفرس والترك، ثم يكر سيرة ممالك مصر منذ سنة ٩٧٠هـ؛ يذكر قايتباى والملوك الذين خلفوه فى فترة الاضطراب التى بينه وبين الغورى، ثم يفيض فى مدح السلطان، ثم يبين سبب نظم الكتاب، ثم يشرع فى ترجمة الشاهنامه. وفى الخاتمة يمدح السلطان ويبين أنه نظم الكتاب اسمه واتمه فى دولته، ويتكلم عن أخلاق السلطان وسياسته وشغفه بالعلم والأدب، ومعرفته لغات كثيرة، ومشاركته فى

(١) نفائس المجالس ص ١٣٢.

الإنشاء والشعر، ونظمه في توحيد الله ومدح الرسول، وإمامه بالموسيقى، ونظمه موشحاً للغناء، ولعه بقراءة التواريخ إلخ... ثم يصف مجلس السلطان واجتماع العلماء فيه لمذاكرة العلم، ويذكر المغنين والموسيقيين الذين يطربون السلطان في مجالسه.

ثم ينتقل إلى وصف عمارات السلطان وصفاً مفصلاً، فيعدد تسعاً منها. والخلاصة أن في مقدمة الكتاب وخاتمته ما يكشف عن بعض تاريخ الغوري، ولا سيما الجانب الأدبي منه، ويبين طرقاً من تاريخ مصر، بعد حساب المبالغات الشعرية.

مجالس السلطان الغوري

يقول الشرفي، ناظم الشاهنامة باللغة التركية، في مقدمة الكتاب:

شها خوش مجلسك وارد جنب آرا

أو مجلسده قمونسنه مهيا

حقيقتده علومك منبى در

د كل شك أول أفاضل مجمعى در

أو مجلسده أولر مشكل لر آسان

نه مجلس كم أودر باغ وكلستان

أقير أنه هر دلجه عبارت

أولر قانونله رمز وإشارت

"ما أجمل مجلسك أيها السلطان، إنه يشبه الجنة، كل شئ مهياً في

هذا المجلس، إنه فى الحقيقة منبع العلوم، ومجمع الأفاضل بلا ريب .
مجلس تيسر فيه المشاكل . أى مجلس هذا؟ إنه حديقة وبستان تقال فيها
العبارات بكل اللغات . وتسير على قانونه الرموز والإشارات .

كان للسلطان مجالس تجمع العلماء والكبراء ، وتطرح فيها للبحث
مسائل شتى .

وقد سجلت كثيرا من مسائل هذه المجالس فى كتابين يصوران تصويرا
حسنا كثيرا من أحوال مصر فى عهد السلطان الغورى :

١ - كتاب نفائس المجالس السلطانية ، فى حقائق الأشرار القرآنية : ألفه
حسين بن محمد الحسينى ، وهو شريف كما يؤخذ من اسمه ومن عبارات فى
ثنايا الكتاب ، ويظهر أنه ساح فى إيران والبلاد الشرقية . وهو يعرف التركية
فقد نظم بيتين بالتركية فى رثاء ابن السلطان الغورى ، وروى من شعر حسين
بيقرا^(١) وفد على مصر فأقام عشرة أشهر شهد فيها مجالس السلطان
الغورى ، وجمع فى كتابه هذا بعض المباحث التى كان السلطان والعلماء
يتكلمون فيها .

والعجمة ظاهرة فى كتابته حتى اسم الكتاب ؛ فقد سماه " نفائس
مجالس السلطانية فى حقائق أسرار القرآنية " ، فحذف السلام من المجالس
والأسرار .

والنسخة التى بأيدينا هى النسخة التى كتبت للسلطان وأهديت إليه .
وقد جعل المؤلف كتابه فى مقدمة وعشر روضات والمقدمة قصيرة

(١) النقائس ص ٢١ ، ١٣٤ .

تتضمن كلام بعض السلاطين ومنهم الغورى. والروضات العشر يذكر فى كل واحدة منها مجالس السلطان فى شهر. وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثا.

وأولها مجالس رمضان سنة عشر وتسعمائه. وأول منجلس منها يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر، وآخرها مجالس رجب. فهى عشر روضات فى أحد عشر شهراً؛ لأن السلطان لم يجلس فى شهر ذى القعدة لوفاة ولده محمد.

والمؤلف يصف كل مجلس وتاريخه ومدته، ويذكر الإمام الذى يحضر المجلس وكبار الحاضرين، ثم يذكر المسائل التى طرحت للبحث فى المجلس. يبدأ السلطان أكثر الأحيان بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين فيرتضى السلطان جوابه أو يناقشه، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام. وأكثر المسائل دينية وبعضها تاريخية ومنها أَلغاز فى موضوعات شتى، وقصص عن الملوك وغيرها.

وأحياناً يصف محافل السلطان. يصف، مثلاً، إحياء السلطان الولد النبى، ويذكر طوائف الناس الذين اجتمعوا، وما فعلوا فى هذا المحفل، ويبين كيف جلس السلطان ليلاً وكيف يتقدم إليه كبار الدولة وينشد كل منهم شعراً فى مدحه وكيف يقابلهم السلطان. وقد ذكر أن الخليفة يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر تقدم "وباس الأرض كفرض العين وعين الفرض" وأنشده:

إن الخلافة ثوب قد خصصت به

إذا لست فلم يفضل ولم يعز

ما أودع الله في أحد احداقنا بصرا

إلا لنفرك بين الدر والخرز^(١)

وكذلك يمر القارئ بمسائل ذات خطر في التاريخ والسياسة إذ ذاك كقول السلطان: "الجرس من الغساسنة فهم عرب" وكالبحث في شروط الإمامة في مجلس السلطان وقول مؤلف الكتاب: فإن لم يوجد من يستوفى الشروط من ولد إسماعيل جاز أن يولى واحد من العجم أو من ولد إسحاق، وقوله بعد هذا: الحمد لله والمنة، والجركس من ولد إسحاق وجميع هذا الشرائط موجودة في السلطان الأعظم^(٢).

بل نجد في الكتاب بحثاً صريحاً في نيابة الغورى عن الخليفة العباسى، هل هذه النيابة لازمة لصحة أحكامه فى الأمور الشرعية، ويشد الخلاف بين المؤلف وأحد العلماء فى هذه المسألة، فيحقر المؤلف الخليفة ويعظم السلطان، ثم يذهب يستفتى العلماء ويأخذ خطوطهم بأن نيابة السلطان عن الخليفة غير لازمة^(٣).

ويرى القارئ أحياناً اهتمام السلطان بتعليم الممالك وإحضارهم من حيث إلى آخر إلى مجلسه، ليقرأوا أمامه ويمتحنهم^(٤).

(١) النفائس، مجالس ربيع الأول.

(٢) النفائس ص ١٠٨

(٣) النفائس ص ١٠٠ فما بعدها.

(٤) النفائس ص ٦٦، ١٣٠.

هكذا يجد القارئ في الكتاب مسائل مهمة لا يظفر بها في كتب التاريخ، ويرى صوراً من آراء السلطان وعلماء عصره، ويتبين مقدار اطلاعهم ومدى تفكيرهم.

٢ - والكتاب الثاني اسمه الكوكب الدرى فى مسائل الغورى، وهو يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها من المسائل التى وقع البحث فيها فى مجالس السلطان الغورى أيضاً. ولدينا الجزء الأول من الكتاب وفيه ألف مسألة فى ٣٣٨ صفحة. والنسخة مكتوبة فى عهد الغورى. ويظهر أنها نسخة المؤلف. وعليها خطوط ثلاثة من علماء وقتة المعروفين يشهدون بأنهم اطلعوا على الكتاب منهم عبد البر ابن الشحنة قاضى قضاء الحنفية. وبعض هذه الخطوط مؤرخ بالسنة التى تم فيها كتابة هذا الجزء.

ويقول المؤلف فى آخر الكتاب: "وكان الفراغ منه فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة".

وفى مقدمة هذا الكتاب شبه بمقدمة الكتاب الأول، وبعض عباراتهما واحدة، وبين تاريخهما زها عشر سنين.

وفى الكتابين مسائل مشتركة مثل سؤال نكاح الشبهة، والإكراه على سب النبى^(١).

وهذا الكتاب ليس مقسماً على المجالس كالكتاب السابق، بل المسائل فيه متتابعة بغير فصل. والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر؛ يرى إلى المسائل الدينية، وهى معظم الكتاب،

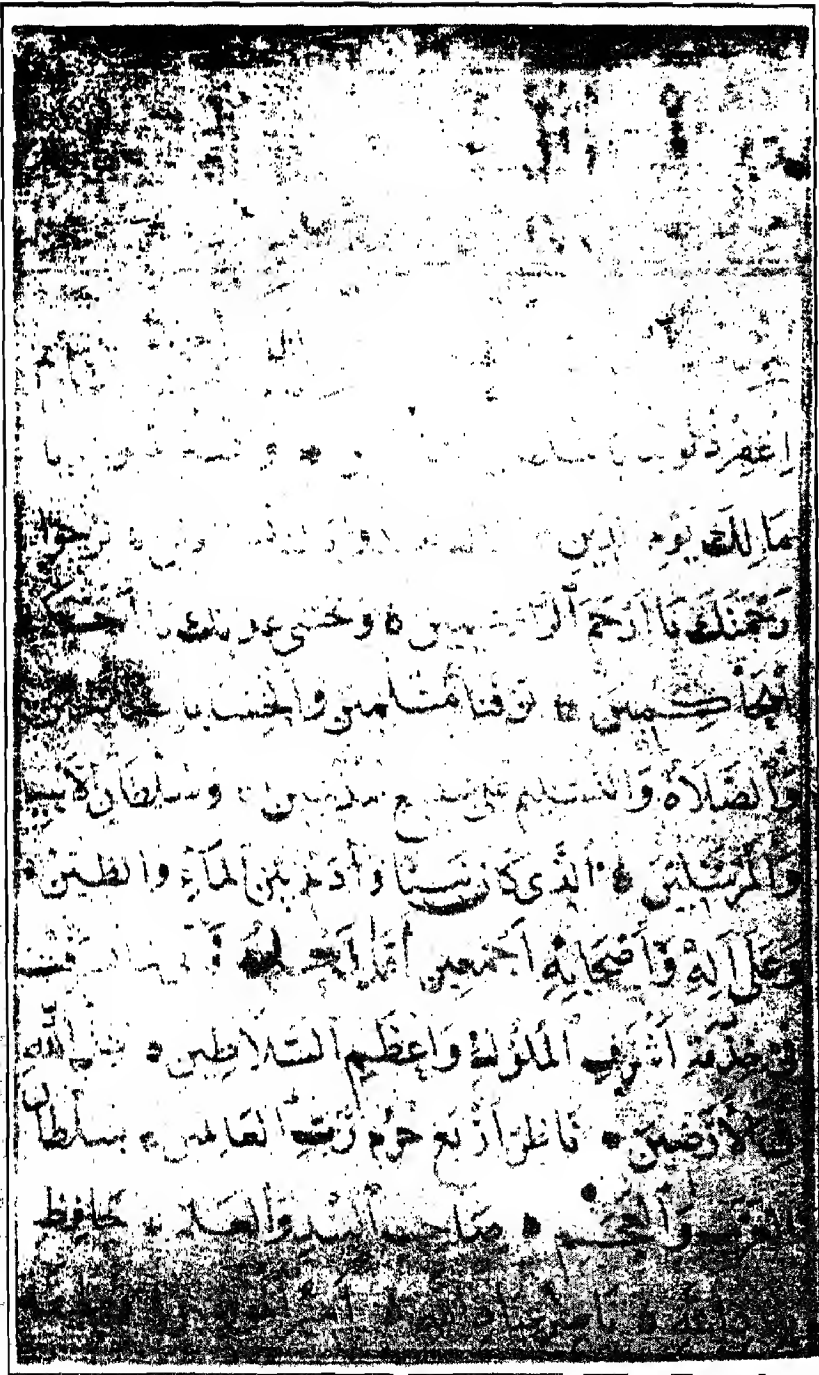
(١) الكوكب الدرى ص ٥٢، ٨٣.

مسائل تاريخية، وجغرافية. ويرى انتقال الحديث من تفسير آية أو حديث إلى السؤال عمن بنى الأهرام، أو عن زرقاة السماء^(١)، أو السؤال عن كيومرث أول ملوك الشاهنامة أكان قبل نوح أو بعده^(٢)، أو عن شهر المحرم لماذا جعل أول التاريخ الهجرى، أو هل الأرض أفضل أم السماء. ويجد القارئ فى الحين بعد الحين فكاهاة من السلطان أو نادرة، ويعرض فى المجالس ذكر الملوك المعاصرين والأمراء الذين وفدوا على السلطان كأبناء بايزيد وسليم. ويرى بعض الأسئلة الدينية التى سألها هؤلاء الأمراء وجواب السلطان أو بعض علمائه.

لا ريب أن هذا الكتاب، على تفاهة معظم المسائل التى يدور عليها البحث، يصور بعض النواحي الفكرية والاجتماعية فى مصر والعالم الإسلامى فى ذلك العصر.

(١) الكوكب الدرى ص ٥٤، ٨٨.

(٢) الكوكب الدرى ص ٩٠.



الصفحة الأولى من كتاب نفائس المجالس

كتاب نفائس مجالس السلطانية

في

حقائق أسرار القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اغفر ذنوبنا يا سلطان السلاطين، واستر عيوبنا يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، نرجو رحمتك يا أرحم الراحمين، ونخشى عذابك يا أحكم الحاكمين، توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

والصلاة والتسليم على شفيع المذنبين، وسلطان الأنبياء والمرسلين، الذي كان نبيا وآدم بين الماء والطين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد. فلإني لما تشرفت في خدمة أشرف الملوك وأعظم السلاطين، ظل الله في الأرضين، ناظر أربع حرم رب العالمين، سلطان العرب والعجم، صاحب البند والعلم، حافظ بلاد الله، ناصر عباد الله، أمين المؤمنين وخليفة المسلمين. ملك الأشرف عزيز مصر، أبو النصر، قانصوه الغوري، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره. ولازمت بابه الشريف، مدة عشرة أشهر، جمعت درر فوائده في سمط العبارة، ونظمت جواهر زواهره في خيط الكتابة. لأن بابه الكريم مجمع الأفاضل، وجنابه العظيم بحر الفضائل والفواضل، هذا مع ما خصه الله تعالى من الفضائل النفيسة، والمناقب الشريفة اللطيفة. أعطاه من الفهم أوفره، ومن الذهن أغزره، ومن الحلم أشرفه، ومن العلم أطفه، ومن الرتب أقواها، ومن الملك أعلاه، ومن الشجاعة أبلغها، ومن السخاوة أعظمها. كل هذه الصفات خصه الله تعالى بمجموعها، ولهذا ارتقى إلى الذروة (العالي، التي كانت نهاية درجات الأفاضل الأهالي)، وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا، كفضل سلاطين الدنيا على الرعايا.

وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قرن به من محبة العلم والعلماء،

والتفتيش عما وضعته الحكماء فى كل نوع من العلوم، لو يقول البشر فى وصف هذا المظهر^(١)، أنه هو سلطان العلماء والمحققين ما هو كذب فى حقه، أو يقول فى مدحه أنه هو سلطان العارفين ما هو عيب فى وصفه. قال أنو شروان: إذا أراد الله بأمة خيراً، جعل العلمفى ملوكها، والمملك فى علمائها، وسميته، بنفائس المجالس السلطانية، فى حقائق الأسرار القرآنية.

وهو مشتمل على مقدمة وعشر روضات، فينبغى لفوائد المجالس السلطانية، وفرائد نفائس النكات القرآنية، أن تكتب بالتبر، لا بالخبر. لأنها مشتملة على أسرار الآيات، ومتضمنة الحكايات، ومندرج فيها الآثار النبوية، ومذكور فيها أسرار العربية.

المقدمة فى كلام السلاطين

ذوى الاقتدار فى فضل العلم

سئل إسكندر أى رجل يصلح أن يكون ملكاً؟

قال: إما حكيم ملك الحكمة. أو ملك طالب الحكمة.

قال فغفور الصين: الجهل مصيبة لا يؤجر عليها صاحبها.

قال قيصر الروم: كل قبيح فى الدنيا الجهل به أقبح منه.

قال فور الهند: قرائن الأحوال تدل على حقيقة الحال.

قال كيخسرو: حسن الذكر ثمرة العمر.

قال بهرام كور: إنا نجمع الرجال، لا الأموال. وندخر الذكر، لا

الوفر. ونذاكر العلوم، لا الرسوم.

(١) يعنى أنه مظهر من مظاهر الله فى خلقه.

قال بطليموس الملك: العقول مواهب، والعلوم مكاسب.

قال أردشير بابكان الملك: العلم عمود الدين، و الدين أس الملك،
والملك حارس الدين. فما لا أساس له فمهديم، وما لا حارس له فضيع.

قال منوچهر الملك: علم الرفق مصباح النجاح.

قال كسرى قباد: ينبغي أن يكون الملك صاحب العلم والفراسة كالأسد
حوله الفرائس، لا كالفريسة حوله الأسد.

قال خان ملك الترك: إضمار الغضب على من هو فوقك مهلك.

قال يزدجرد شهر يار الملك: أطع من هو فوقك يطعك من هو دونك.

قال محمود الغزنوى: العلم طبيب الدين والمال دواؤه.

ونختم هذا بقول خاتم السلاطين، أمير المؤمنين، وخلقة المسلمين،
الملك الأشرف قانصوه الغورى عز نصره:

ما فى الدنيا أحسن من الأدب، لأنه يزين الإغنياء، ويستر فقر الفقراء.

وقال أيضا: إذا اتفق جماعة على شيء وإن كان كذبًا فلا تخالفوهم.

وقال أيضا: لو كان الاجتماع بأبى حنيفة ممكنا لسألت عن حكمة

كراهية قراءة المأموم خلف الإمام.

ولو كان الاجتماع بالشافعى ممكنا لسألت عن حكمة جواز الوضوء من

قلتين مع أنه يتغير بأدنى تغير. لو أنت تبعث فى هذه المسألة مذهب أبى
حنيفة لكان أحسن.

الروضة الأولى فى مجالس رمضان

المجلس الأول

طلعت يوم الخميس ثالث عشرين رمضان المبارك فى تاريخ ستة عشر وتسعمائه. وكان فى خدمته ناصح الملوك والسلاطين، الشيخ حسين حلبى. وكان الإمام فى تلك الليلة الشيخ شمس الدين السمديسى؛ وقعدوا فى الأشرافية ستين درجة، ووقع فى تلك الليلة أسئلة:

السؤال الأول:

قال حضرة مولانا السلطان: الصلاة من الله تعالى رحمة، ومن المؤمنين الدعاء. فمعنى اللهم صل على محمد أى ارحم محمدا، فكيف يجوز لنا أن نسأل له الرحمة مع أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين؟ لا بد أن تكون مرتبة السائل أعظم من المسئول له؟

عجزوا عن الجواب. ثم قرأنا الفاتحة.

قال حضرة مولانا السلطان: إنا نسأل الدعاء فى الحقيقة لأجل أنفسنا، ولا شك أن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو محتاج إلى صلاتنا عليه، والمقصود من صلاتنا عليه طلب زيادة قدر النبى صلى الله عليه وسلم، وطلب زيادة قدر النبى صلى الله عليه وسلم مستلزم لزيادة قدر أمته، كما ورد الأحاديث فى فضيلة الصلاة عليه.

قال الشيخ برهان الدين بن أبى شريف، والشيخ جلال الدين السيوطى: هذا الجواب فى غاية الحسن.

السؤال الثاني:

قلت: ما السر في أن الدعاء في جميع الشرائع لا يقبل إلا بالصلاة على نبينا، وفي الشرائع الأخر إجابة الدعاء ما هو موقوف على الصلاة على أنبيائهم، بل بمجرد الصلاة على نبينا يقبل دعاؤهم، كآدم عليه السلام ما استجيبت توبته إلا بعد الصلاة على محمد، وكذلك يوسف عليه السلام ما تخلص من السجن إلا بعد الصلاة على نبينا؟

قال حضرة مولانا السلطان: الواجب على الداعي أن يتوسل بأعظم شفيع، لاشك أن أعظم شفيع عند الله محمد عليه السلام.

السؤال الثالث:

قال مولانا السلطان: أى رجل صلى ركعتين بلا سهو فما لم يسجد سبع سجادات لا تصح صلاته؟

وقال: أمهلتك ثلاثة أيام. ثم بعد ثلاثة أيام بست الأرض وقلت:

رجل دخل مع الإمام فى الركعة الثانية، فقد أدركه فى السجدين، فلما قعد الإمام قدر التشهد قبل أن يسلم أحدث وتأخر وقدم هذا المسبوق ليسلم، ثم أخبره الإمام أنه ترك سجدة فإنه يجب عليه أن يأتى بها ويشير إلى القوم ليسلموا، ثم يصلى ركعتين بأربع سجادات.

السؤال الرابع:

قال الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) لآى

حكمة ما قال: وأطيعوا أولى الأمر منكم؟؟

قال مولانا السلطان: حتى يفهم منه أن أمر أولى الأمر ما هو مخالف

لأمر الله وأمر الرسول . بل لابد أن يكون موافقا للشرع الشريف والكتاب والسنة .

لطيفة:

ذكر مولانا السلطان على الطارئ أنه قيل :

ركب خواجه محمود الكاوان فى الهند مع الوزراء فلما وصلوا إلى زريبة البقر وهى فى الصباح قالوا له : يا خواجه ، ما يقول البقر؟ فقال : هى تقول لى : اخرج من بين الحمير وتعال عندنا المناسب لهذا المجلس .

حكاية:

قيل : قصد السلطان محمود الغزنوى رحمه الله زيارة واحد من الأولياء وسافر مسيرة شهر فلما وصل إلى بلاد الشيخ بعث قاصداً إلى الشيخ وقال قل له : إنا جئنا بطول مسافة شهر لقصد زيارتكم ووصلنا إلى باب مدينتكم فالواجب عليكم أن تخرجوا إلى باب المدينة حتى يزوركم السلطان؟ قال الشيخ ما لنا حاجة بزيارة السلطان . ثم بعث السلطان ثانياً فقال : قولوا له أما قرأت قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)؟

قال الشيخ : إطاعة أولى الأمر واجبة إذا كانت موافقة للكتاب والسنة . والله تعالى ما أمرنا فى كتابه بزيارة السلطان فأعجبه منه هذا الجواب فركب إلى زيارة الشيخ .

نختم هذا المجلس بظرافة :

قيل : إن أعرايا كان يأكل فى شهر رمضان الفاكهة بالنهار . قيل له : ما

هذا؟ فقال الاعرابي : رأيت في كتاب الله (كلوا من ثمره إذا أثمر) وأنا خفت
أن أموت قبل الإفطار فأكون عاصيًا .

المجلس الثاني

طلعت ليلة الأربعاء سابع عشرين رمضان المبارك، والإمام كان الشيخ
شمس الدين السمديسي، وقعدوا في تلك الليلة ستين درجة في الأشرفية
فوق في تلك الليلة اسئلة :

السؤال الأول:

قلت : أى شيء فعله حرام وتركه حرام؟

الجواب : قال مولانا السلطان : صلاة السكران

السؤال الثاني:

سأل مولانا السلطان : أى صائم إذا أفطر فصلاته صحيحة وإن تم
صائمًا بطلت صلاته؟

الجواب : هذا رجل اغتسل في ليل رمضان بدون المضممة والاستنشاق،
فإذا شرب الماء وصل الماء إلى حلقة فخرج من الجنابة .

السؤال الثالث:

قال مولانا السلطان : أى جنب يظهر من الجنابة يورن درهم من الماء؟

الجواب : قلت : إذا اغتسل جميع بدنه فلفصق في بدنه قطعة من الشمع،
فمما لم يغسل هذا الموضع إلى يخرج من الجنابة . ويكفى في غسل هذا
الموضع قدر الدرهم من الماء .

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: رجل صلى صلاة الظهر - مثلاً - بالوضوء الكامل، وما أحدث شيئاً وما وصل اليه نجاسة جديدة فركعتان منها صحيحتان وركعتان منها فاسدتان.

الجواب: قلت: رجل أصاب ثوبه دهن نجس أقل من الدرهم ثم انبسط بعد الركعتين الأوليين.

السؤال الخامس:

سأل مولانا السلطان: إذا ابتلع الصائم أشرفياً من الذهب هل هذا مبطل لصومه أم لا؟

الجواب: قلت: عن الشافعي يبطل مطلقاً. وعند أبي حنيفة لا يبطل. وعند مالك فيه قولان.

السؤال السادس:

أي رجل إذا دخل في مسجد فبدخوله يقع طلاق الإمام ويجب حلق ذقن المأموم ويجب هدم المسجد؟؟

الجواب: قلت: هذا الرجل كان مسافراً، وجاءت هذه الجماعة الذين هم مأمومون وقت دخوله، وشهدوا بالزور بموته، وأخذ الإمام امراته وعمل بيته مسجداً.

السؤال السابع:

قال مولانا السلطان: امرأة رأت رجلاً فقال: هذا ابني وأخي وزوجي وعبدي؟؟

عجز أهل المجلس عن جواب هذه المسألة.

ثم قال مولانا السلطان: أمهلتك ثلاثة أيام، رح فهاث

الجواب: وقال مولانا السلطان: ما يعرف جواب هذه المسألة إلا القاضي

شهاب الدين بن الفرفور.

قلت: أروح عنده وأسأل وأجيب الجواب.

ثم بعث مولانا السلطان قاصدا إلى ابن الفرفور، وقال: إن الشريف

يأتى إليك لجواب المسألة. لا تذكر له الجواب.

فلما رحنا عند القاضي رحمه الله قال ما نقول جواب مسألة السلطان

إلا بأمر مولانا السلطان.

ثم درت فى المدينة ثلاثة أيام وسألت جميع الفقهاء والفضلاء، ما قال

لى أحد جوابها.

ثم بعد ثلاثة أيام طلب منى مولانا السلطان جواب المسألة، قمت

ويست الأرض وقلت: مولانا السلطان أعلم بها من جميع العلماء ثم قرآن

الفتاحه.

الجواب: قال مولانا السلطان إنه وقع نكاح الشبه بين الأب والبنث فولد

منهما ولد، ثم تزوج هذا الولد أمه أيضا بالشبهة، ثم أسلمت الأم واشترت

ابنه.

السؤال الثامن:

قال مولانا السلطان: لآى حكمة سمو الإمام الشافعى بالشافعى؟

قلت : هذا السؤال بعينه سألَه السلطان شاه رخ في العجم .

الجواب : قيل ماتت امرأة وهى حبلى ، فأمر الإمام مالك بدفنها ؛ فلما خرجوا من عند الإمام مالك لقوا الإمام الشافعى ، وكان فى ذلك الزمان شاباً يقرأ على الإمام مالك . قال الشافعى : ادفنوها ولكن اعملوا على لحدها قصباً مجوفاً وانتظروا ثلاثة أيام .

فلما علموا بقول الشافعى ولدت الميتة فى اليوم الثانى ، فأخرجوا الولد من القبر . فلما كبر وقرأ القرآن دخل هذا الصبى يوما عند الإمام مالك ، فأعجب الإمام قراءته فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أمرت بدفنى مع أمى . فقال الإمام : كيف جرى ؟ فقالوا : دلنا محمد بن إدريس على هذا ، فقال الإمام : هو الشافعى .

السؤال التاسع :

قال مولانا السلطان : هذا الجواب مردود ، لأنه على هذا التقدير لا بد ألا تدفن الميتة الحبلى الآن عند مالك . ومع هذا المسألة عندهم على خلاف هذا الجواب ، بل الحق أن الشافعى اسم لجدّه ، كما أن (الحنبلى أيضا اسم لجدّه ومنسوب إليه) .

السؤال العاشر :

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) . إنا صلينا - مثلاً - زكعتين فيجازينا فى القيامة بعشرين ركعة . ولا شك أنا محتاجون فى القيامة إلى الجنة والرحمة ، لا إلى الصلاة .

قال مولانا السلطان : المراد عشرة أمثال التى كتبتها الملائكة فى الجزاء ، أو نقول باعتبار رجاء العبد يعنى التى هم يرجون من الله فلهم عشر أمثالها .

السؤال الحادى عشر:

لاى حكمة قال: (عشر أمثالها) وما قال: عشرة مثلها؟

الجواب: حتى لا يتوهم أن الجزء منحصر بعشرة فقط، بل يمكن أن يزيد إلى سبعمائة.

فائدة:

قال مولانا السلطان: ما فات منى إحياء ليلة القدر من حين أدركت وبلغت.

ورأوا فى بلاد جركس فى ليلة القدر لا يجرى الماء ولا يتحرك الهواء المنأب بهذا المجلس.

حكاية:

قيل: جاء سائل إلى باب رابعة العدوية، وكان عندها رغيها، فأعطتهما السائل.

ثم بعد هذا جاء واحد فدق الباب وجلب عشرين رغيها، وسرقت جاريتهما من الباب رغيين وجابت قدام الست ثمانية عشر رغيها، فلما رأت رابعة هذا قالت: رغيين آخرين فى أين؟ قالت الجارية: أى رغيين قالت رابعة: قال الله تعالى فى كتابه الكريم: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأنا تصدقت برغيين. فجزاء ذلك إنما يكون عشرين.

فلما سمعت الجارية هذه المقالة من رابعة باست رجلها وأخرجت الرغيين اللذين سرقتهما فى الأول.

ونختم هذا المجلس بقول إسكندر:

قال: ينبغي للملك إطاعة الله تعالى، لأن سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة الله.

من المجلس الثالث

طلعت ليلة الجمعة في سلخ رمضان المبارك، والإمام كان الشيخ محب الدين المكي، وقعدوا في البيسرية أربعين درجة، وجاء الشيخ ابن أم أبي الحسن مع كتابين، واحد منهما (سيرة الملك الظاهر بيبس ودخوله إلى الفرنج)، والكتاب الثاني (أحاديث في فضل المسلم)، ويريد أن يقرأ جميع ما في الكتابين، مع أنه لا يمكن قراءتهما في شهر كامل.

قلت: ما مناسبة قراءة هذيه الكتابين في تلك الليلة؟ أما (سيرة الملك الظاهر) فلأنه لو كان الملك الظاهر حيا يتمنى أن يسمع سيرة مجلس مولانا السلطان.

وأما مناسبة الكتاب الثاني في ليلة العيد فبعيد، بل المناسب في هذه الليلة الشريفة ذكر فضل رمضان وأدائه، وفضل العيد وصلاته.

ووقع في ذلك المجلس مسائل:

السؤال الثاني:

شخص رأى هلال العيد، وما رآه غيره، هل هذا الشخص يفطر أو يصوم؟

قال مولانا السلطان: لا ينوى الصوم ولا يأكل الطعام أيضا موافقة للمسلمين.

السؤال الرابع:

قال سلطان شروان: معنى العيد فى اللغة هو السرور فسرور المسلمين لاجل رواح رمضان الذى كل يوم يغفر فيه ذنوبهم وتستتر عيوبهم، وأبواب جهنم مقفولة، وأبواب الجنة مفتوحة. فالقياس أن لا يفرح المؤمن برواح مثل هذا اليوم؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: فرح المؤمنين لأجل أنهم أدوا هذه الفريضة أداء كاملاً ووصلوا إلى درجة الصائمين الكاملين لا بواسطة رواح رمضان.

السؤال السابع:

بعض البلاد نهارها ستة أشهر وليلها ستة. فكيف يصوم المسلم فى ذلك البلد؟

قال مولانا السلطان: الواجب عليهم أن يقيسوا بالمنكاب بقياس ليل مكة ونهارها، ويصوموا ويصلوا الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قياساً على مسألة يوم خروج الدجال.

جوهرة:

جاء خبر موت النشيلي فى تلك الساعة. وقرأ مولانا السلطان لأجل روحه ثلاث مرات سورة الفاتحة وقال: الله تعالى يرحمه. ما تكلم أبداً عندى فى شر أحد غير أنه قال فلان يحبك، وفلان يبغضك.

الروضة الثامنة فى مجالس شوال

من المجلس الأول

السؤال الخامس:

رجل مكره على سب النبى فالأولى له أن يرتد باللسان أو يصبر على الضرب حتى يموت؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: الأولى الصبر. لأن الإقرار شرط الإيمان أو شطره. فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

وقال حضرة مولانا السلطان: لو وقعت أنا، والعياذ بالله، مجبوراً مكرهاً على سب النبى نختار الموت وما نسب النبى.

قيل: عليه قال الله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ظاهرة الآية على أن المختار السب؟

قلت: المراد من الآية الكريمة الرخصة فى الجملة لا أن السب واجب عليه. بل الأولى ترك السب والصبر على الضرب كما ذكره النووى فى الروضة.

فى آخر المجلس السادس

وفى يوم الجمعة واحد وعشرين من شهر شوال انتقل قطب فلك الإرشاد وخلاصة العباد والزهاد، شيخ الإسلام حسين جلى من عالم الفناء إلى عالم البقاء، وفى ذلك اليوم الشريف حسين أيضاً وصل إلى رحمه الله.

من المجلس السابع

جوهرة:

وفى آخر المجلس طلب مولانا السلطان الشيخ عبد الرزاق الإمام وقال:
والعجب أن العلماء والصلحاء، ما عملوا الدعاء لدفع الطعن والوباء. قال
الإمام: الوباء رحمة من الله تعالى ويحصل بسببها لهذه درجة الشهادة.

قال مولانا السلطان: لاشك أن المطر أيضا رحمة من الله تعالى، فإذا
جاوز حد الاعتدال ففى الشرع رخصة الدعاء فى تلك الحالة.

من المجلس الثامن

السؤال الرابع:

الفصحاء يذكرون الكلام بلا مؤكد، وإذا أنكر المخاطب يؤكدون بأن ثم
باللام فما حكمة التأكيدات الثلاث أولا فى قوله تعالى: (إنا إليكم لمرسلون)؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: قاعدة علم البيان أن أداة التأكيد على قدر إنكار
المخاطب، فالله يعلم ما تكن صدورهم فذكره بحسب إنكارهم.

المجلس التاسع

طلعت يوم السبت سلخ شوال. وما خرج حضرة مولانا السلطان فى
تلك الليلة بسبب ضعف ابنه، وأمر أن يختم له الحفاظ وفرق على كل واحد
دينارا من الذهب.

وفى يوم الجمعة سادس شهر ذى القعدة، درة درج الخلافة، ودرى برج

اللطفاء، ثمرة شجرة العدالة، وشجر ثمر الإيالة، الواصل إلى جوار رحمة الصمد (السلطان محمد) الذى تفاخرت الأرض بسبب تربته الشريفة على صوامع الفلك، وتبختر الثرى بواسطة مقبرته اللطيفة على حظائر الملك، لما سمع نداء (أجيبوا داعى الله) تلقى بسمع القبول والطاعة. وانتقل من دار غرور الدنيا إلى دار سرور العقبى فى الساعة - سقى الله ثراه، وجعل الجنة مثواه.

والفقير الحقير، المعترف بالذنب والتقصير طعنت فى ذلك اليوم، وكنت محروماً من ملازمة العتبة الشريفة مدة أربعين يوماً. ونظمت تاريخ وفاته الشريفة باللسان التركى.

سويلمك كم أوغلى أولدى حضرة سلطان مصر
بر مؤمن أولدى فى كل أرض العامرة
مالك أولدى كل دنيا بالعدالة آتسى
كتدى أوغلى تاكه دوتسون ملك دار الآخرة
عقل مندن صردى تاريخ وفاتن، سويلدم
يتشر تاريخه أعلى القصور "الفاخرة" (١)

(١) أظنه أراد أن يؤرخ بكلمة "الفاخرة" وحدها وحسابها ٩١٧ والوفاة سنة ٩١٦ فقد أخطأ فى واحد. وكأنه لم يحسب الألف فى أداة التعريف.

الروضة الثالثة

في ذكر المجالس التي وقعت في ذى الحجة

من المجلس الأول

طلعت ليلة الأحد عشرين ذى الحجة الحرام . وقعدوا في الأشرفية
خمسة وعشرين درجة . والإمام في تلك الليلة كان الشيخ عبد الرازق . ووقع
البحث في الألبان .

اللفظ الثاني:

ألا فأخبروني أي شيء رأيتمو

من الطير في أرض الأعاجم والعرب

فيؤكل مطبوخًا لذيذًا وتارة

فيؤكل مشويًا إذا اشتد في اللهب

وليس له أيد وليس له فم

وليس له رجل وليس له ذنب

وليس له مخ وليس له دم

وليس له عظم وليس له زغب

الجواب:

قال مولانا السلطان: هو البيض .

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: جماعة من الشعراء اجتمعوا في خدمة سيف الدولة وقصدوا إيذاء المتنبي وقالوا إنا نبيض في هذا المجلس. وكان مع كل واحد بيضة مخفية. فلما جاءت نوبة المتنبي صاح صيحة الديك. فقال السلطان: ما هذا. قال: لا بد لهذه الدجاجات من ديك.

خاتمة:

قال بهرام بن بهرام: أسد حطوم خير من ملك غشوم. ملك غشوم خير من فتنة تدوم.

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس سابع عشر المحرم. وقعدوا ثلاثين درجة في المقعد. فلما دخل سيدى على الأحميمي قال له مولانا السلطان: يا إمام الأعظم. ولهذه العبارة معان:

الأول: أنت إمام أعظم سلاطين الدنيا أو أنت أعظم أئمة السلطان.
الثاني: أو أنت الإمام الأعظم في هذا العصر، يعني أنت أبو حنيفة الوقت.
ووقع في تلك الليلة مسائل:

السؤال الأول:

قال رسول الله ﷺ: سبحانه ما عرفناك حق معرفتك.
وقال على رضى الله عنه. لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. ولا شك أن مرتبة النبوة أعلى من مرتبة الولاية. فقول النبي ﷺ يدل على عدم المعرفة، وقول الولي على كمال معرفته، فما التوفيق بينهما؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: ليس بينهما تناقض. لأن مراد النبي صلى الله عليه وسلم كنه الذات. ولفظ حق معرفتك يدل على هذا. ومعرفته بالكنه لا تحصل للبشر، سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة.

وقول الولي يدل على أن المعرفة التى يمكن تحصيلها حصلناها فى الدنيا ولا يزيد فى الآخرة شئ. لأن الدنيا دار تحصيل الكمالات ومزرعة الآخرة.

درة:

قال مولانا السلطان: ادعت جماعة محبة السلطان محمد القلاوون. فقال لهم: إن كنتم تحبوننى ارموا أرواحكم من القصر. فقالوا: بسم الله وجروا من أول سطوح القصر إلى نهاية طرف القصر. فوقفوا وقالوا: يا مولانا السلطان. محبتنا لك إلى هذا الموضع. فمن يزيد علينا قدمًا فالمحبة له.

الروضة الخامسة

فى المجلس التى وقعت فى شهر صفر

من المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس عشر شهر صفر وقعدوا سبعة وعشرين درجة فى المقعد ووقع فيه مسائل إلخ.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: فى أيام المعتصم وقع فى شبكة صياد مخلاة فيها كف مخضب بخواتم الذهب. فلما سمع المعتصم نظر فى الخاتم فرأى أنه ما هو من شغل بغداد. فطلب المخلاتين فقال واحد منهم: اشترى هذه المخلاة منى مباشر فى هذه الأيام فسأل عن هذا المباشر. فقيل له: هو رجل يشرب الراح ويحب الملاح، وفى الليل والنهار فى الخمر والزمر. ففتش عن أحواله من جيرانه، فقالوا إن هذا المباشر هوى جارية وكانت من المغنيات وقصد بيعها ووقع الخلاف فى قيمتها. فصاحب الجارية خلاها عند المباشر فأنكرها، وحلف أنها خرجت من عنده إليه. ثم راحوا واشتكوا إلى الديوان. فأمر بتفتيش بيت المباشر. وهو من الخوف قتلها. ثم أمر الخليفة بإحضار سيد الجارية. فلما رأى ذلك قال: هذا كف جارىتى. فأحضر الخليفة المباشر وقال له: يا ولد الزنا يا فاسق، ما قنعت بهذه الأفعال الذميمة حتى قتلت نفساً محرمة. فأمر بشنقه على باب داره والمخلاة فى عنقه.

من المجلس السادس

طلعت يوم السبت سابع عشر شهر صفر وقعدوا فى المقعد سبعة وعشرين درجة. ووقع فيه مسائل إلخ.

المناسب لهذا المجلس:

أنه كان شيخ نصاب فى العجم يدعى دعوة الجن. فبعث إلى السلطان تمور^(١) وقال له: للجن عرس ويطلبون منك شيئاً من الذهب لأجل الزقة. قال تمور فى الجواب: سلموا على الشيخ وقولوا له: ما باب فى الدنيا إلى وهو مفتوح عليهم، فلا بد هم يدخلون فى ذخيرتى ويأخذون من الذهب مهما شاؤا.

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء عشرين شهر صفر وقعدوا فى المقعد ثمانية وعشرين درجة. والإمام كان الشيخ عبد الرازق. وفتح مولانا السلطان فى تلك الليلة لغزين. ووقع فيها مسائل:

السؤال الثانى:

قال الشيخ عبد الرازق: هل معرفة الله بالقلب أو بالنقل؟

الجواب:

قلت: معرفة الله بالقلب ما تكلم به العلماء، وفساده ظاهر، لأنه إذا كان مناط المعرفة القلب يلزم أن يكون جميع الحيوانات العجم والأطفال

(١) يعنى تيمور لنك.

والمجانين كلهم مكلفين لأنهم أصحاب قلوب وليس كذلك . بل قالوا: معرفة الله تعالى إما واجبة شرعاً أو عقلاً .

قلت: عند الحنفية واجب عقلاً بدليل قوله تعالى: (أو لم يتفكروا في خلق السموات والأرض).

وعند الشافعية واجب شرعاً بدليل (وما كنا معذبين) إلى آخر الآية^(١).

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: أسلم ابن وزير ملك الصين واشتكت الأمراء والمباشرون وقالوا للملك: قد آمن ابن وزيرك بسيد المرسلين ؟

قال الملك في جوابهم: بدنه مأمور لأمرنا، ومحكوم تحت حكمنا، وقلبه ما هو تحت أمرنا . خلوة يرتبط بأى شخص يشتهى خاطره .

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثانى وعشرين شهر صفر وقعدوا فى المقعد ثلاثة وثلاثين درجة . والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبي . ووقع فيه الألباز والمسائل:

اللفز الأول:

وميت بقبر طعمه عند رأسه

إذا ذاق من ذاك الطعام تكلم

يقوم ويمشى ناطقاً بفصاحة

ويأوى إلى القلب الذى كان قيماً

(١) «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» .

قال: هو القلم.

اللفز الثاني:

خيلان ممنوعان من كل لذة

يبيطان طول الدهر مجتمعان

إذا أمسيا كانا على الناس حارسا

وعند طلوع الفجر يفترقان؟

قال: هو الباب.

من المجلس التاسع

طلعت يوم الثلاثاء سابع وعشرين شهر صفر وقعدوا في المقعد ثلاثاً

وعشرين درجة. ووقع فيها مسائل ولغزان.

اللفز الأول:

وذى سفر لا يحب المقام ولا يسأم السير في كل حال

يبيد الليالي في مرة وتضنيه في مرهن الليالي

قال: هو القمر.

من المجلس العاشر

طلعت يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر صفر وقعدوا في المقعد

عشرين درجة. وقع فيها مسائل إلخ.

الخاتمة:

سئل الإسكندر: ما أحسن حال الرعية؟

قال: إذا كان ملكهم لطيف العقل صحيح الرأي عالماً بالحكمة.

وسئل: ما أسوأ حال الرعية؟

قال: إذا عدم من الملك هذه الخصال.

فى الدعاء:

الحمد لله والمنّة؛ إن هذه الخصال متوجودة كلها فى حضرة سلطان العرب والعجم، أشرف ملوك العالم، وارث ملك يوسف الصديق، خليفة الأرض بالحق والتحقيق، أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، الملك الأشرف أبو النصر، عزيز مصر، قانصوه الغورى. اللهم خلد ظلال معدته ورأفته فى بسيط الأرضين، وأيد أنوار سلطته وخلافته على كافة المسلمين إلى يوم الدين. آمين.

الروضة السادسة في مجالس ربيع الأول المجلس الأول

طلعت يوم السبت ثاني ربيع الأول وقعدوا في المقعد عشرين درجة.
ووقع فيه لغز ومائل:

اللغز الأول:

وأكلة بغير فم وبطن لها الأسجار والحسيوان وقت
إذا أطعمتها نعشت وعاشت وإن أسقيتها ماء ثموت
قال: هو النار.

السؤال الأول:

قال مولانا السلطان: لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في
السماء. فلأى حكمة ما بين حقيقة الروح في جواب: (يسألونك عن
الروح)؟

الجواب:

قال الشيخ برهان الدين بن أبي شريف: اليهود قصدوا تعجيز النبي
وتغليظه. فسألوا عن مشترك بين المعاني، وقصدوا أنه مهما يقل لهم النبي
يقولوا في الجواب: ما قصدنا هذا المعنى. وأما اشتراك الروح فإنه قد يطلق
ويراد به جبرائيل وقد يطلق ويراد به عيسى أو الملك. وقد يطلق ويراد به قوة
في الحيوانات وهي مبدأ الحس والحركة. فقال الله تعالى في جوابهم شيئاً
يصلح لجميع هذه المعاني.

الجواب الثانى:

قال مولانا السلطان بعد قراءتنا الفاتحة: جواب آخر: وهو أن يقول الله: ما ينفعكم معرفة حقيقة الروح لأنه لا يتعلق به أحكام الشريعة. والأولى لكم معرفة مسائل يتوقف عليها التكليف.

من المجلس الثانى

طلعت يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الأول وهذه الليلة كانت ليلة كسر النيل. وفى تلك السنة أو فى البحر عشرين ذراعاً وعشرة أصابع. ووقع فى تلك الليلة الغاز. والممالك الصغار فى تلك الليلة قرءوا قدام مولانا السلطان.

قال ابن النحاس: كنت فى خدمة قاضى كاتب السر فقال لى: تعالى إلى تفرج كسر النيل. وأنا ما رضيت. لأن مولانا السلطان هو البحر الكبير. وبحر النيل بحر الكسر فى هذه الليلة، وهذا البحر له جبر الخواطر.

قال مولانا السلطان:

اللفز الأول:

أى شىء تلف محض بلا نفع: عجزوا عن الجواب فقرأنا الفاتحة.

الجواب: قال مولانا السلطان: تودير^(١) المصريين فى هذه الليلة.

اللفز الثانى:

وطائرة أمست عديمة أربع

عظام ولحم والدماء وريش

(١) يقال فى اللغة العامية المصرية: ودره: أى أتلفه أو أهلكه.

فيؤكل منها البعض والبعض طائر

ويحرق منها البعض وهي تعيش؟

قال: هو النحل.

اللفز الرابع:

ما اسم شيء قد غدا نزهة للنفس، محبوب لدى الأزمة
وإن ترد تصحيف مقلوبة تجده شهراً من شهور السنة
قال: هو البحر (١).

المناسب لهذا المجلس:

قيل لإسكندر: إن في عسكر داراب الملك ثلاثمائة ألف رجل. فقال
إسكندر في الجواب: بكثرة الغنم لا تخوفوا القصاب.

قيل لأنوشروان: إن في عسكر سلطان الحبوش والسودان أربعمائة ألف
رجل. فقال أنوشروان لهم: لا تخافوا لأن النار القليل تفنى الحطب الكثير،

المناسب لهذا المجلس:

أنه سئل أفلاطون: ما علة ملوحة البحر؟

فقال لهم: بينوا لي فائدة العلم بهذا حتى أبين لكم علته.

وتوقيعه من كلام سيد الأنام عليه السلام أنه قال: من حسن إسلام المرء

ترك ما لا يعنيه.

(١) يعنى إذا قلبت كلمة بحر وصحفت فهي "رجب".

الخاتمة:

قال إسكندر: ينبغي للعاقل أن يكون مع سلطانه كراكب سفينة البحر إن سلم جسمه من الغرق لم يسلم قلبه من الخوف.

من المجلس الثالث

طلعت نهار الخميس سابع شهر ربيع الأول. وقعدوا في المقعد ثلاثين درجة. ووقع فيه المسائل ولغز:

اللغز الأول:

ألا خذ وعد موسى مرتين وضع أصل الطبايع تحت ذين
وركب بيت شطرنج فخذها فركبها^(١) خلال الموعدين
فذاك اسم لمن يهواه قلبى وقلب جميع من فى الخافقين
الجوانب مولانا السلطان: وعد موسى أربعين وهو بحساب الجمل ميم.
وأصل الطبايع أربعة وهى دال. وبيت الشطرنج ثمانية وهى الحاء. والمجموع
هو اسم محمد. وهو حبيب قلوب من الخافقين.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قال الشيخ الربانى علاء الدولة السمنانى قدس الله روحه، وكتب
فى وصيته. إذا دخل الكافر أيضاً فى زاويتي فأطعموه. لأن كل من يستحق
عند الله التشريف بجوهر الروح اللطيف. فهو يستحق عندنا أيضاً قرص
الرغيف.

وتوقيع هذا: أكرموا الضيف ولو كان كافراً.

(١) فى الأصل: فكسبها.

الخاتمة:

قال المأمون لأمراته عليكم بأهل السخاية والشجاعة، فإنهم من أهل حسن الظن بالله تعالى. ومع الجود سوء الظن بالمعبود.

أنعام حضرة السلطان:

نزلنى فى المدرسة الغورية وأعطانى وظيفة التصوف فيها. اللهم كما سلمت بيده زمان الدين، وجعلته من أفضل الملوك والولاة، شرف مسامع مجامع المسلمين، بصيت فتحة المبين، يا رب العالمين. آمين.

واقعة:

فى يوم الجمعة ثامن شهور ربيع الأول دخل فى القاهرة مفخر الأمراء والأكابر، صاحب المناقب والمآثر، الواثق بالملك الحى، أمير سيبى، وشرف بتقريب العتبة العلية، الغورية، شيد الله أركان قواعدها.

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت تاسع ربيع الاول وقعدوا فى الأشرفية عشر درجات. ووقع فيها المسائل والألغاز.

الغزاة الأول:

مولاي شمس الدين يا رب الحجى

ما اسم ثلاثى له وجه يسر

لم يبق لى فى العشق لو ما قلبه

صحف وذوق إن لم يكن حلوا "فمر"

قال: هو القمر.

اللفز الثاني:

أتى بلغز ثلاثي يعجزني

وظن ذلك بحرا لست أملكه

وقال فسره شمس الدين قلت له

مولاي لغزك ليس الشمس تدركه^(١)

قال: هو القمر.

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر".

مولد السيد الأعظم ﷺ

الليل لما عسعس، والصبح حين تنفس، خرج سلطان ممالك الأفلاك من خيمته الأزرق^(١). وهربت منه جيوش حبوش الليل الغسق. ونزل عساكر أنواره على وجه الأرض، واستولى على جميع الممالك بالطول والعرض. أمر السلطان الأعظم، والخاقان المعظم، سليمان الزمان، إسكندر الدوران، وارث ملك يوسف الصديق، خليفة الحق^(٢) بالحق والتحقيق. أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري خلد الله تعالى ملكه وسلطانه، وأفاض على العالمين بره وإحسانه - رب كما جعلت شمس معدلة رافعة لظلام الظلم عن كافة الأنام في العالم، اجعل خيام بقائه مشيدة بأوتاد الأبد، وأطناب الدوام المؤبد. بجاه محمد. يا واحد يا أحد - أمر^(٣) بضرب خيمته الزرقاء، على فرش مسطح الغبراء، التي كان الفلك الأطلس يتمنى أن يكون من سقوف قبابها، وترتجى النجوم والكواكب أن تكون من مسامير أبوابها. ما كانت الكواكب في تلك الليلة ظاهرة، بل كانت عيون الملائكة من الملأ الأعلى لأجل تفرجها ناظرة، وبواسطة هذه الخيمة السلطانية صارت السموات السبع ثمانية، وكأن أشارت سماء الدنيا بأعملة الأهله إلى الملك، وقالت: هل رأيتك مثل هذا الفلك؟ والشمس والقمر يدوران حولها ويرميان روحهما من المنافذ حتى يتفرجا المجلس العالي. وفلك القمر فتح أعين الكواكب الثواقب، حتى ينظر وجوه الأكابر والأهالي.

(١) يريد خيمته الزرقاء، وسلطان ممالك الأفلاك: الشمس.

(٢) الحق: الله تعالى.

(٣) يعني السلطان الغوري.

ثم سلطان الحرمين الشريفين، فى يوم الاثنين، عمل مولد سيد الكونين، ورسول الثقليين، وسلطان قاب قوسين.

وكان هذا اليوم مصداق: (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)، لأنه يوم معراجهِ ﷺ ووفاته، ويوم المولود^(١).

وكان هذا اليوم موكب عظيم، فلا فيه لغو ولا تأثيم. وفى هذا اليوم اكتسبت السماء من الأرض استفاضة النور. وهذا الخبر عند أهل الأثر معروف ومشهور.

وكان مولانا السلطان فى الخيمة كالشمس فى وسط سماء الدولة، أو بدر كامل فى فلك أطلس السعادة، فى طرفيه اثنا عشر منزلاً، وفى كل منزل مقام مقدم ألف، وهو كقمر كامل بلا نقصان، أو بدر لامع بلا خسران. فأمر حضرة مولانا السلطان بإحضار السادات العظام، والعلماء الأعلام، وقضاة الإسلام، والأمراء الكرام، ووزراء الأنام. ووجوه الناس من المباشرين والحكام، والصلحاء والفقراء والمشايخ والزهاد، والعباد من جميع البلاد، والفقهاء والفضلان والمدرسين، وأجواق القراء والحفاظ والمؤذنين، من العرب والعجم، والترك والديلم.

ومد سمطاً عجيباً كبيراً، مع أطعمة غريبة كثيرة، بحيث لا يقدر لسان الإنسان على ذكر بيانه، أو كأن: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) نازل من شأنه، أو نزلت مائدة من السماء، على جميع من فى الدنيا.

لما فرغوا من الطعام، وقرءوا كلام الملك العلام، وذكروا مولد سيد الأنام، عليه السلام، بالكمال والتمام، ألبس أعظم سلاطين الإسلام الخلع

(١) المولود: المولد. وهى بهذه الصيغة فى اللغة الفارسية والتركية والأوردية.

على الجميع، من الشريف والوضيع، وصار الخوش من مآثر الأولياء، وميامن بركات الأتقياء، ومن كثرة ازدحام الخلق، شبيهاً بموقف عرفات، بل بعروسة العرصات^(١).

وأنعم عليه إنعامات بلا غاية، وإحسانات بلا نهاية.

(درر الكواكب، لو ما كانوا متوهمين أن يبخشهم مثل الليالى، على الأهالى الأعالى، لكانوا منتظمين فى خزيتته العامرة. والشمس والقمر، لولا كان خوف أن يفرقهم بدل النقيدين، بوجه إنعامات القراء، لكانا منسلكين فى ذخيرة القاهرة، الدرر والدرى، خافا من جوده فتحصنا بالبحر والأفلاك)^(٢).

وأنا كنت قاعداً فى الدهشة، فى دهشة عجيبة من مشاهدات الرايات السلطانية، ومطالعات غرائب الألفاف السبحانية. لأننى رأيت مجلساً لا عين رأت، وسمعت مولداً. لا أذن سمعت. فخطر ببالى ما لم يخطر ببال أحد، وهو أنه يمكن بحسب تخيلات الشعر، وموجب تصرفات الفكر، تشبيه هذا اليوم بيوم الجزاء، وتشبيه هذه النعمة بنعمة تُجزى، وتشبيه الخيمة الزرقاء بسماء يوم الدين، وتشبيه قرب شمس بقرب سلطان السلاطين. ولله المثل الأعلى فى السماوات والأرض، سيجانه منزّه عن الشبّه والنظير، (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير). ثم بعد الفراغ من المولد، وكان قريب وقت المغرب، جاء أسود الليل الغاسق، بزى السراق العائق. فسرق زرّ الذهب، من جيب الفلك الأطلس المذهب. فانهزم عسكر الروم من جيش الحبش^(٣).

(١) أظنه يعنى المحشر.

(٢) أبقيت الأسطر التى بين القوسين بغير إصلاح ليرى القارئ مثلاً من إنشاء المؤلف حين يتكلف.

(٣) كناية عن إقبال الليل.

وصار عين الفلك من هذا الهم أعمش، فنوروا القناديل والشموع، من أول الليل إلى وقت الطلوع.

وفى تلك الليلة، كان وجه الأرض أنور من السما. من كثرة الشموع والثريا. لأن شمس فلك السعادة من برج الإقبال كانت فيها طالعة، وكواكب عساكره المنصورة من مدارج الجاه والجلال لامعة.

ثم قام مقدمو الألف، وجاءوا كالملك صفا على صف، بالطول والعرض، كلهم باسوا الأرض. فقدم عليهم أكبر أولاد قريش، ووارث المملكة والجيش، ابن عم النبي العربي، الهاشمي المطلبى، أمير المؤمنين يعقوب المتمسك بالله، خليفة مصر. باس الأرض، كفرض العين وعين الفرض، وقال الخيفة:

إن الخلافة ثوب قد خصصت به^(١)

إذ لبست فلم يفضل ولم يعز
ما أودع الله فى أحداقنا بصراً

إلا لنفرك بين الدرّ والخرز
فميزه مولانا السلطان بجبر الخاطر، وفضله على جميع الأفاضل
والأكابر.

ثم جاء من أصحاب اليمين، ذو التمكين، أتابك العساكر المنصورة، فى أعظم بلاد المعمورة، صاحب رأى والتدبير، الأمير الكبير، وباس الأرض، كأداء الفرض، وفتح اللسان^(٢) بمدح مولانا السلطان. وقال الأمير الكبير:

(١) أظنه بفتح التاء خطاباً للسلطان.

(٢) هذه ترجمة العبارة الفارسية: زبان كشاد. وفى الكتاب كثير منها.

إن الفضائل فى الدنيا مشتتة

وما جُمعن مرور الدهر فى فقر

لكنهن بحمد الله قد جمعت (١)

أشتاتها عندكم فى أحسن الصور

قال حضرة مولانا السلطان: الحمد لله الذى جعل شكره سبباً للمزيد،

وأجرى من ينابيع القلوب إلى مجارى الألسنة زلال الشكر والتحميد.

ثم جبر خاطره بتحسينات وافرة؛ وتعريفات متكاثرة، بحيث تنفس أمير

قرقماش شمائم روائح جبر الخاطر، ونسيم امتيازه على البادى والحاضر.

ثم جاء خلاصة الأمراء والأخيار، وحاكم البلدان والأمصار، الوثائق

برحمه الملك الحى، الأمير سيبى، باس الأرض وقال هذا النظم:

الحمد لله على كل حال قد ذهب الهجر وجاء الوصال

وصلت من لم ينله المنى وكنت أرضى بطواف الخيال

ثم حضرة مولانا السلطان جبر خاطره، فزين باطنه وظاهره. ثم جاء

الأمير عالى القدر، أمين الملوك والسلطين، مقبول الخلائق أجمعين، حافظ

الأسلحة والأرماع، محب أهل الصلاح أمير السلاح، باس الأرض وقال هذا

الشعر:

يا من أعاد رميم الملك منشوراً وضم بالعدل شمالاً كان منشوراً

لا زال قاليك بالمنشار منشوراً وصدر وإليك للزوار منشوراً

(١) فى الأصل: لكنها بحمد الله قد اجتمعت. وأظنها من تحريف المؤلف.

فامتازه مولانا السلطان، جبر الخاطر بين الأعيان.

ثم جاء الأمير رفيع المقدار، مغيث المظلوم عند الأضرار، مهندس
قواعد المملكة والمؤسس، وأمير المجلس. باس الأرض وفتح اللسان، بثناء
مولانا السلطان وقال:

جنايك فردوس جرى من خلاله

كياس أياذك العزيزة كوثر

سأشكرها ما دمت حيا وإن أمت

فإن رميم العظم في اللحد يشكر

فجبر خاطره. وزين ظاهره

ثم جاء الأمير الأعظم الأكرم عماد الدولة، وناظر أمور المملكة، الواصل
بالمملك القدير، أمير آخور الكبير. باس الأرض وقال هذا النظم:

توجه وقد أفتح والنصر حيثما

توجه في عين الإله لواؤه

وكل مكان مس حافر خيله

تخلص من داء الفناء فناؤه

فجبر مولانا السلطان خاطره.

ويسبب هذا انشرح صدره، وازداد قدره.

ثم جاء الأمير الأشجع، الأرفع، حامى شرع أحمد المختار، المؤيد

بتأييد الملك الغفار، أمير دوا دار. باس الأرض وقال هذا الشعر:

ولو أن البحار لنا مداد

ودجلة والفرات وكل وادى

ونبت الأرض أقلامًا جميعًا

نخط بها إلى يوم التنادى

إذن لم أستطع إحصاء ما بى

من الشكر المدخر فى فؤادى

فأمتازة حضرة مولانا السلطان، من بين الأقران، بتحسينات لائقة،

وتمديحات شائقة.

بعده:

ثم جاء الأمير الأعظم، الأكرم، حافظ أبواب الملوك والسلطين،

مقرب أمير المؤمنين، صاحب العز والرفعة، نائب القلعة، باس الأرض وقال

أمير طقطباى:

بقيت مدى الأفلاك ملكك راسخ

وظلك ممدود ويابك عامر

يرد سنالك البدر والبدر زاهر

ويقفو نذاك البحر والبحر زاهر

فجبر خاطره حضرة مولانا السلطان، فامتازة من بين الأقران.

بعده:

ثم جاء الأمير الواقف، العارف، خلاصة الأمراء والأعيان، مقرب
حضرة السلطان، زين الحجّاج، أمير الحاج. باس الأرض وقال الشعر:

أيا كعبة الآمال وجهك حجتى

وعمرة نسكى إننى فيك والع

بمزدلفات فى طريق غرامكم

عوائق من دون اللقاء قواطع

فامتازه بتحسينات لطيفة، وتمديحات شريفة.

بعده:

ثم جاء تاج رأس أرباب العمائم، ورأس تاج أركان الأعظام. سلالة
الأكابر فى العالم، صاحب السيف والقلم، مفتاح أبواب البر، ومصباح
مشكاة الخير. كاتم سر حضرة الإله، وكاتب سر ظل الله، صاحب
الرياستين، ناظر الديوانين، المختص بعناية الملك الودود، القاضى محب الملة
والتشريعة والحقيقة، والتقوى والفتوى والدين، محمود. صانه الله تعالى من
شر كل حسود، وضرّ كل حقود. وكان جميع أكابر الأعظام، وجمهور
أرباب العمائم، فى حوالى المخدم العالى القدر، كالهالة حول البدر فى ليلة
القدر، ووقف فى موقف العرض، وباس الأرض، وفتح اللسان، بمحامد
مولانا السلطان، وقال القاضى:

سجايك من طيب أعراقها

تُبَارى النجوم بإشراقها

وما للنفاء غياث سواك

كأنك ضامن أراقها

قال حضرة مولانا السلطان: الحمد لله الذى فضلنا على عباده،
وخصصنا بتثبيت أهل ودادة. فجاء له جبر الخاطر من سلطان السلاطين، ما
لم يؤت أحد من العالمين.

بعده:

ثم جاء قضاة الإسلام، والعلماء العظام، الذين هم خلاصة أمة محمد،
وأساس بناء دين أحمد. فحزكوا ألسنتهم بالثناء. وفتحوا الأيدي بالدعاء. ثم
فتح اللسان، بثناء مولانا السلطان، قاضى القضاة الشافعى الذى هو كان
صاحب الرفعة، وخطيب القلعة. وقال شعراً:

ففى كل عضو فى كل صباغة

إليكم وشكر جاذب لزماني

أصلى فأشدو حين أتلو بشكركم

وأطرب فى المحراب وهو أمامي

فباسوا الأرض. ثم حضرة مولانا السلطان كان كالصبح الصادق على
وجوه الوجوه متبسماً. وهم برياح أنفاسه الشريفة متنسماً.

بعده:

ثم جاء المخدم المعظم، زين الوراء فى العالم، أسعد أولاد عثمان ذى
النورين، وناظر جيش سلطان الحرمين الشريفين، آصف العهد والزمان،

أشرف ذرية عثمان بن عفان، المختص بعناية الملك القاهر، القاضى عبد
القادر؛ باس الأرض. وأمر^(١) بخطيب اللسان، بثناء مولانا السلطان. وقال:
نظم

وإنك للمولى الذى بك أقتدى

وإنك للنجم الذى بك أهتدى

وأنت الذى بلغتنى كل رتبة

مشيتُ إليها فوق أعناق حُدى

فامتازه بجبر الخاطر بين الأعيان، حضرة مولانا السلطان.

بعده:

ثم جاء أعظم الوزراء والمباشرين، مفخر الأمناء والمعتمدين، مقرب
سلطان السلاطين، صاحب العز والاختصاص، القاضى ناظر الخاص. وباس
الأرض، بالصدق والإخلاق. وقال: نظم

اشكر مآثره ولسن مآثراً

لكنهن قـلائد الأعناق

والثم أنامله ولسن أناملاً

لكنهن مـفـاتح الأرزاق

فامتازه حضرة السلطان القاضى ناظر الخاص، من بين الخواص.

(١) أمر بمعنى قال. وهى ترجمة فرمود بالفارسية أو يوردى بالتركية، والأمر فى هاتين
اللغتين يوضع موضع الفعل للتعظيم.

بعده:

ثم جاءت العساكر المنصورة حزبًا بعد حزب، وفوجا بعد فوج، كلجى البحر فى الموج، بعد أقطار الأمطار، وأوراق الأشجار، من أمراء الألوף الأربعينيات، والخاصكيات والعشروات، الذين عجز بنان البيان عن إظهار شمائلهم، ولا يقدر لسان الإنسان على بيان فضائلهم. جاؤا بأدعية وافرة، وأثنية، متكاثرة، فجبر خاطرهم، بقدر مراتبهم.

وأيضًا: ثم بعد العشاء أمر حضرة مولانا السلطان أولاد الرقاع، بالسماع. فلبسوا خرقة واسعة الأكمام والذيل، ورقصوا إلى نصف الليل. لما وصل غُلْغُلَة^(١) الرقص بمسامع الملك، فرقص معهم سكان صوامع الفلك. ولبس شيخ الفلك^(٢) بزيتهم خرقة المرقع الأزرق، وتشدد بشد الأحمر من الشفق، ورقص معهم، ودار حولهم، حتى طلع النهار، بأمر فاطر الليل والنهار.

لما فرغوا من السماع، قرب طلوع الشمس والارتفاع، اجتمعت المشايخ والعلماء والفقهاء، والزهاد والعباد والفقراء، وقالوا: اللهم أيد دولة هذا السلطان الأعظم، وشيد أركان معدلة الخاقان المعظم، واجعل راياته مرفوعة فوق خيمة الفلك الزرقاء، وأحكامه نافذة إلى أصقاع بقاع الغبراء، بحق محمد عين أعيان الإنسان، وآله وصحبه أصحاب الشهود والعيان.

(١) غلغل وغلغلة تستعملان فى الفارسية بمعنى الضوضاء.

(٢) أظنها ترجمة «بير فلك» الفارسية وهى كناية عن زُحَل.

من المجلس الخامس

طلعت نهار الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الأول وقعدوا فى صفة الدهشة
خمساً وعشرين درجة . ووقع فيه المسائل والألغاز .

اللغز الأول:

ما اسم شىء حسن شكله

تلقاه عند الناس مخزوناً

تراه معدوداً فإن زدته

واواً ونوناً صار (موزوناً)

قال : هو الموز .

اللغز الثانى:

ما اسم شىء طاب أكله

ناعم فى الخلق لين

كيف يخفى عنك هذا

وهو فى التصحيف "بين"

قال : هو التين (١) .

(١) يعنى أن «تين» تصحف إلى «بين» .

من المجلس السادس

طلعت يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الأول . وقعدوا فى الأشرفية
ثلاثين درجة . وخسف القمر . ووقع فيه مسائل :

السؤال الأول :

قال مولانا السلطان : ما الحكمة فى الكسوف والخسوف ؟

الجواب :

قلت : هما آيتان من آيات الله . كما ورد فى السنة .

الجواب الثانى :

قيل : سبب الخسوف حيلولة الأرض بينه وبين الشمس ، والقمر مظلم ،
فبقى القمر ببلونه الأصلى أسود .

قلت : هذا مخالف لقوله تعالى : (وهو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نوراً) .

السؤال الثانى :

قلت : ما الفرق بين الضوء والنور ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : الضوء هو النور الغالب القاهر المحرق بخلاف
النور ، فإنه يطلق على غير المحسوس أيضاً كنور القلب ونور الإيمان ، دون
الضياء .

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: لأى حكمة وقت الخسوف يضربون الطاسات ؟

الجواب:

قلت: لأن المنجمين حكموا بخسوف القمر فى ليلة معينة عند هُلاكو خان. وكان الخان منتظراً لتفرجه. ولما انخسف القمر كان هلاكو نائماً. فعمل المنجمون حيلة لأجل استنباهه ودقوا الكاسات وقالوا: دق الكاسات عند الخسوف واجب. ثم بعد ذلك صار هذا بدعة فى الدنيا.

من المجلس التاسع

طلعت يوم السبت سلخ ربيع الأول. وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة. وكان الإمام الشيخ عبد الرازق. ووقع فيه المسائل والألغاز:

اللفز الأول:

أتعرف طائراً فى الأرض يُلفى

وفى جو السماء مع الجوارى

به عجب لأن الرأس حُوت

وأخره ترى ذنب الحمار ؟

قال: هو النسر.

اللفز الثانى:

لى جمع أصحاب أعشقهم وأهواهم

ولا أشتهى قط أنظرهم ولا راهم

أقسم بما خلقهم ثم سواهم

ما طاب لى عيش فى الدنيا برؤياهم

قال: هو الأسنان.

الغزاة الثالث:

وذات ذؤابة تنجس طولاً

تراها فى المجىء وفى الذهاب

وما لبست مدى الايام ثوباً

وتكسو الناس أنواع الثياب؟

قال: هو الإبرة.

درة:

قرأ مولانا السلطان لروح صاحب العقائق سورة الفاتحة ثلاث مرات.

خاتمة:

قال إسكندر: افضل الملوك من بقى بالعدل ذكره.

واستلمى من بعد فضائله.

والحمد لله والمنة أن هاتين الصفتين موجودتان فى السلطان الأعظم،

مالك رقاب الأمم، حاكم بسيط الأرض، بالطول والعرض، أمير المؤمنين،

وخليفة المسلمين، عزيز مصر، الملك الأشرف أبو النصر، قانصوه الغورى.

اللهم اجعل شجرة رجائه ثمرة المراد، وأظهر صورة عدله فى مرايا قلوب

العباد.

الروضة الرابعة فى مجالس ربيع الآخر من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية خمساً وثلاثين درجة، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى . ووقع فيه المسائل .

السؤال الرابع:

قال السلطان^(١) يقرأ نصرة الله: لا شك أن الملائكة معصومون، وكمالاتهم بالفعل، ولا يزيد فى أعمالهم شئ من الكمال، فما فائدة بعثة الرسل فيهم؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: معنى رسل الملائكة أنهم جاءوا بالرسالة إلى أنبيائنا لا بمعنى أن جبرئيل صاحب أمة ويكمل النواقص، فالرسالة لفظ مشترك بين الملك والإنس .

جوهرة:

وقع البحث فى شب چراغ^(٢) .

قال مولانا السلطان: ما هو موجود فى خزيتنا .

(١) الظاهر أنه يريد السلطان حسين بيقرا سلطان هراة من أحفاد تيمور لnk وقد توفى سنة .

٩١٢ قبل تاريخ هذه المجالس . فهذا سؤال قديم حكاه المؤلف فى مجلس الغورى .

(٢) شب چراغ: "مصباح الليل" جوهر لماع له بصيص فى الظلام .

قلت: فعلى هذا شب جراح ليس بوجود فى الدنيا. لأن الجواهر النفسية العجيبة ينسبون لها على خزنة مصر. وحب ملوك مصر الجواهر النفسية مشهور.

من المجلس الثانى

طلعت يوم الخميس خامس ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثمانياً وعشرين درجة. وكان الإمام الشيخ عبد الرازق. ووقع فيه المسائل إلخ.

درة:

قال حضرة مولانا السلطان فى آخر المجلس: إنه جاء فى زمن السلطان السعيد الشهيد المرحوم قايتباى رحمة الله ستة عشر مراكب من الروم وظهرت على شاطئ البحر فى طرابلس قريب العصر، وجاء من جانب مصر الأمير الكبير مع عسكر كثير لأجل المقابلة والمقاتلة. قلت لبعض أصحابى تعالوا حتى نقرأ الفاتحة لدفعهم، فقرأنا الفاتحة بعد العصر فغرق الجميع بأمر المقدر فى تلك الليلة. فلما طلع الصبح بعثنا المراكب الصغار مع الرجال لأجل ضرب رقاب الذى تخلصوا بالأخشاب. وفتحنا بسورة الفاتحة هذا الفتح المبين، وصرنا من المقاتلة آمين. والحمد لله رب العالمين.

من المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة. وكان الإمام الشيخ محب الدين المكي ووقع فيه المسائل.

السؤال الأول:

سأل مولانا السلطان عن الشطرنج من قاضى قضاة الحنفية؟

الجواب:

قال القاضى: عند الشافعية مباح بثلاثة شروط: الأول ألا يكون بالرهن. والثانى - ألا تفوت الصلاة بسببه. والثالث - ألا يزيد على ثلاث لعبات.

حكاية:

قال مولانا السلطان فى آخر هذا المجلس:

إن أمير تمور كورك كان مشتاقًا لصحبة السلطان أحمد البغدادى؛ فدخل السلطان أحمد بزي القلندرى^(١) على تمور، ولعب معه الشطرنج فأخرج من عبه ثلاث قطع من الياقوت البهرمانى وقال: إن وصلنا إلى سرنديب، وأعطانا سلطان سرنديب أرضًا بطول ذراعين وقال: هذا ميراث أبيكم آدم؛ أحفروا ومهما يطلع منه خذوه. وهذه اليواقيت منه. وقدم واحدًا منها إلى تمور. فأمر تمور بإحضار ثلاث قطع مثلها. فلعبا بالشرط، فغلب السلطان أحمد على تيمور مرتين، فأخذ منه ياقوتين بحكم الشرط، وخلي مكتوبًا تحت بساط أمير تيمور أن السلطان أحمد وصل إلى خدمتك وخرج. لما رأى تيمور هذا الورق وقع فى ندامة عظيمة.

درة:

فى آخر المجلس قال مولانا السلطان: فضائل خواجه عبد القادر صاحب فن الموسيقى.

منها: أنه أسر فى عسكر أمير تمور عند الجمالين. فعمل جلاجل الجمل

(١) قلندر: الدرويش الجوال الذى لا يبالى بشىء.

بحيث تخرج صوتًا ملائمًا. فلما عبر تمور إليهم بالليل سمع صدى هذه الجلاجل فأخرج عبد القادر من بينهم فرباه تربية عظيمة فوق الحد والوصف.

من المجلس السادس

طلعت يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى ووقع فيه المسائل الخ.

درة:

قال مولانا السلطان: ما فى الدنيا أحسن من الأدب. الأدب جوهرة والعقل معندنها. ولهذا، السلطان محمود فى وقت لعب الشطرنج مع إياس الخاص^(١) كان يقول له: يا سيدى ألع، ويا أمير ألع، قال إياس: يا مولانا السلطان ما أنا مستحق لهذا التعظيم، فقال له السلطان، قصدى مداومة لسانى على الكلام المليح، والاجتناب عن^(٢) الكلام القبيح.

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر. وقعدوا أربعين درجة فى الأشرفية. وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ووقع فيه المسائل:

السؤال الثانى:

إذا دخل أربعون نفسًا على مولانا السلطان، والذى دخل أولاً أخذ

(١) فى الأصل خاص إياس يعنى إياس الخاص. وإياس هذا كان من خواص السلطان

محمود. وصار أده وحب السلطان إياه مضرب المثل فى الأدب الفارسى.

(٢) الاجتناب عن الخ محاكاة للعبارة الفارسية.

ديناراً، والذي دخل ثانيًا أخذ دينارين، والذي دخل ثالثًا أخذ ثلاثة دنانير، إلى الأربعين، فالمجموع كم يكون عدده ؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: المجموع سبعمائة وثمانون.

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر ربيع الآخر وقعدوا في الأشرفية ثلاثين درجة. والإمام كان سيدى على الأخميمي، وطلع الشيخ عباس مع مملوكين؛ واحد منهما حفظ عبادات مذهب أبى حنيفة^(١) رحمة الله، والآخر حفظ القرآن. ووقع في تلك الليل مسائل وألغاز:

السؤال الثاني:

سأل مولانا السلطان من الشيخ عباس^(٢) لأجل مناسبة بحث العبادات: ما تقول في صلاة العريان: السجود والركوع واجب عليه أو يكفيه الإيماء؟

الجواب:

قال الشيخ عباس: الواجب عليه أن يركع ويسجد دون الإيماء.

الرد:

قال له مولانا السلطان: أخطأت لأن علماء الحنفية صرحوا بالإيماء. لأن ستر العورة شرط، وانتفاء الشرط مستلزم لانتفاء المشروط.

(١) يرى في هذه القصة وأشباهها عناية السلطان الغورى بتعليم المماليك.

(٢) "سأل عن الشيخ عباس" في تعديده سأل بمن، محاكاة للعبارة الفارسية.

السؤال الثالث:

قال مولانا السلطان له: أى صورة تصح الصلاة بثوب نجس وبدونه لا

تصح؟

الجواب:

قال الشيخ عباس: المصلى إذا كان عرياناً وما معه إلا ثوب فيه نجاسة.

قال مولانا السلطان: هذا يؤيد كلامنا. لأن المصلى لا تصح صلاته

عرياناً وإن كان الثوب نجساً.

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: إذا كان بينهم قميص واحد من أولى بلبسه؟

الجواب:

يلبس الإمام ويتقدم على الكل والباقي فى صف واحد.

السؤال:

إذا كان بينهم قميص واحد فصلاتهم بالفرد أو بالجماعة.

الجواب:

الأولى ترك الجماعة إذا كانوا قادرين على أداء الصلاة فيلبس هذا الثوب

كل واحد منهم ويصلى به.

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثمانياً وثلاثين درجة. والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى. وجاء ابن عفريت مع الممالك الصغار وعرضهم على المقام الشريف ثم أنشد موشح قاضى القضاة الحنفى فى العزال الذى كان مطلعته.

يا بلائى بأعين الحبشى

وقال مولانا السلطان الموشح فى جوابه:

ما بلائى من أعين الحبشى

بل من الجبر كسى

وذكر ابن عفريت: أن عند قاضى القضاة جارية حبشية فأنشد القاضى هذه القصيدة لأجلها. ووقع فيه المسائل إلخ.

الخاتمة:

قال النبى ﷺ: السلطان ظل الله فى الأرض، فمن نصحه اهتدى، ومن غشه ضل.

من المجلس الثانى عشر

طلعت يوم السبت ثامن عشرين ربيع الآخر. وقعدوا فى وسط الدهشة الأشرفية أربعين درجة، وكان فى خدمته الشريفة الشيخان الكاملان الفاضلان العالمان العاملان شمس الضحى، بدر الدجى، اللذان يرتجى البحر أن يكون قطرة على خضرة حديقة جودهما، ويفتخر الفلك فى هذا الزمان بوجودهما يعنى حضرة محمود الخصال، مسعود الإقبال، مفتاح أبواب الخير والبر،

القاضى كاتب السر، لا زال عاقبته كاسمة محموداً، وظله إلى الأبد ممدوداً. والثانى أسعد أولاد عثمان ذى النورين، وناظر جيش السلطان الحرمين الشريفين، ملجأ أعظم الأكابر، القاضى عبد القادر، لا زال أقدام أقلامه على هامة الأنام، إلى آخر الشهور والأيام. وكان الإمام فيها الشيخ محب الدين الحلبي، وصنّف باسمه الشريف كتاباً فى وصف مدرسته ومأذنته الشريفة. وهو من هذه الحيشة كتاب شريف، لأن فيه أوصاف المقام الشريف. ثم قرؤا وأنشدوا موشح مولانا السلطان فى نغمة العشاق، وموضح قاضى القضاة الحنفى فى العزال.

درة:

قال حضرة مولانا السلطان: إنا مدحنا الترك، وقد مدحهم جميع شعراء العرب والعجم والترك والديلم، وما مدح أحمد من الشعراء قديماً وحديثاً لحبوش لأنهم ليسوا فى درجة المدح^(١).

نكتة:

قلت: إن الله تعالى مدح الحور بالبياض فى وقله تعالى (كأنهن اللؤلؤ والمرجان).

ووقع فى تلك الليلة ثلاث أغاز الخ:

المناسب لهذا المجلس:

قول إسكندر: إنه لا يعرب أربع إلا عند أربع:

(١) إشارة إلى موشح قاضى القضاة فى وصف الحبش وموضح السلطان اللذين تقدم ذكرهما.

لا يعرف الحلم إلى عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الصديق إلا عند الحاجة، ولا العالم إلا عند البحث والتصنيف.

الخاتمة:

قال أنوشروان:

حسن النية من العبادة، وحسن الجلسة من الرياسة، وحسن الاستماع من الحلم، وحسن البحث والجواب من العلم.

الحمد لله والمنة، هذه الصفات موجودة في السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، حافظ بلاد الله، ناصر عباد الله، أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، عزيز مصر، الملك الأشرف أبو النصر، قانصوه الغورى.

اللهم خلد دولته إلى يوم القيام، وأظهر معدلته على الخواص والعوام، بالنبى عليه الصلاة والسلام، آمين.

الروضة الثامنة

فى مجالس جمادى الأولى

من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء ثانى شهر جمادى الأولى وقعدوا ثلاثين درجة فى الأشرفية، والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى وعرض ابن خواص المؤذن كتابين، الأول منهما المختار فى مذهب أبى حنيفة، وابن مالك فى النحو.

قال حضرة مولانا السلطان: يا خواص أخذت مذهبين: أبناك حنفى وأنت شافعى؛ يا خواص أنت طماع.
ووقع فى تلك الليلة مسائل إلخ:

لطيفة:

قال مولانا السلطان: إن ابن عثمان أمر^(١) لناصر الدين^(٢) أن يشوى له وزراً، فشوى وأكل منه رجلاً، فسأل السلطان عن رجل الور، فقال: ما يكون للوز إلا رجل واحد، فسكت السلطان. فركب السلطان وركب معه الشيخ فإذا طائفة من الور واقفة على رجل واحد، فقال ناصر الدين للسلطان: أنظر كل واحد منها برجل واحد. فدق السلطان طبل باره^(٣) فمدوا أرجلهم. قال السلطان لناصر الدين أكلت الرجل وكذبت.

(١) ابن عثمان لقب سلاطين العثمانيين عند أهل مصر فى ذلك العصر.

(٢) يعنى نصر الدين خوجة وهو عند الترك مثل ججا.

(٣) طبل باز = طبال. واستعمله هنا بمعنى الطبل.

قال أيضاً ناصر الدين: يا فلان لإيش ما دقيت طبل بازك ذلك الوقت حتى يمد الوز المشوى رجله الملتئم.

حكاية:

لما خطبوا بنت ناصر الدين فقال للمخاطبين لا آخذ منكم لأجل مهرها أقل من خمسين ديناراً، فقالوا له: هذا كثير. فقال: كيف كثير وينتى حبلى، فقالوا: يا ناصر الدين كلامك ردئ وأتلفت المجلس. فقال لهم: كلامى فى غاية الحسن. لأن الأمس باعوا فرساً بعشرة دنانير ذهباً فلما ظهر عليها الحمل وادوا فى الثمن أشرفيين. فبتى أقل من الفرس؟ فضحكوا من كلامه فوزنوا خمسين ديناراً.

خاتمة:

قال بعض الحكماء: الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام.

من المجلس الثانى

طلعت يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى وقعدوا فى الأشرفية خمساً وثلاثين درجة، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى، ووقع فيه لغز ومسائل إلخ:

محمدة:

مدح جماعة من الأفاضل خبز مدرسة المقام الشريف بالخبز المسلم وفيه ثلاثة وجوه^(١):

(١) هذه الأوجه لا تأتى مع تعريف الخبز بأداة التعريف وإنما يمكن الوجه الأول فقط. ولكن المؤلف مضطرب فى استعمال أداة التعريف لخلو الفارسية والتركية منها.

الأول: أن قلبه كقلب المسلم أبيض.

والثاني: أن هذا الخبز خبز أعظم المسلمين في هذا الزمان.

لأن أشرف الخلق الملك، وأشرف ملوك الأرض وأعظمهم سلطان
الحرمين الشريفين، وسلطان مصر، ويمكن أن يراد به مثل:
أنا أبو النجم وشعري شعري^(١)

والثالث: أن هذا الخبز يفرق على المسلمين الصالحين القائمين
بوظائفهم.

ثم حضر مولانا السلطان بعد أن ذاق الخبز أمر بزيادة الملح حتى يأكله
الفقراء مع السعتر بالهين.

قلت: يا أمير المؤمنين، ويا خليفة المسلمين، ويا أفضل ملوك الدنيا،
ويا سلطان معمورة الغبراء، جاء في خاطري حكاية إن كان الدستور
فنحكي^(٢). فقال لى: أحكى. قلت: عمل جهانشاه^(٣) التبريزى مدرسة
بالخبز الأسود، وفحمية بلا لحم، أخذ فقير زبدية من هذا الطعام والخبز وجاء
به قدام السلطان فقال للسلطان كل. ما قدر السلطان أن يأكل منه اللقيمة.
فقال الفقير خف من يوم يقول الله تعالى لك: كل عشرة مثل هذه الزبدية.
قال السلطان: من شأن إيش، قال: لأجل قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها) مع أنك ما تقدر أن تأكل لقيمة. فارتعد بدن السلطان من هذا

(١) يعنى أن وصف السلطان بهذه الصفة كالإخبار عن الشيء المعروف، بنفسه.

(٢) الدستور: الإذن وهى مستعملة فى العامية المصرية اليوم.

(٣) الظاهر أنه جهانشاه أحمد ملوك قراقونلى (٨٤١ - ٨٧٢هـ)

البيان، فأمر بسماط المدرسة مثل سماط العادة السلطانية، وزاد فيه كثيراً من الأطعمة والحلوات، ومن جاء بعده من سلاطين اقتدوا به وعملوا فى مدارسهم سماطات عظيمة. يا أمير المؤمنين الخبز والسعتر من عادة الفقراء، فلا بد إذا وصلوا إلى السماط السلطاني أن يغتنموا أنواع الأطعمة. فلما سمع مولانا السلطان هذه الحكاية انشرح صدره وقال: إن شاء الله تعالى أعمل فى مدرستى مثل هذا.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: ملك الهند ذهب سمعه وصار أطروشاً، فاشتد حزنه لما دخل عليه أهل مملكته لتعزيته عن سمعه. قال حزنى ما هو من فوت هذه الجارحة، بل حزنى بسبب أنى ما أقدر على سماع استغاثة المظلوم، ولكن إذا ذهب سمعى ما ذهب بصرى. فأمرت لكل مظلوم أن يلبس الأحمر حتى إذا رأيته عرفت أنه مظلوم فأقربه فأنصفه فينتصف.

من المجلس الرابع

طلعت يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى وقعدوا فى الأشرفية ثمانياً وعشرين درجة، والإمان كان الشيخ محب الدين الكى ووقع فيه مسائل.

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: زكاة أربعين شاه واحدة. فما زكاة ثمانين شاه ؟

الجواب:

قيل: شاتان. فضحك السلطان وقال: هذه مسألة تعبدية لا قياسية حتى يبلغ مائة وإحدى وعشرين فشاتان.

المناسب لهذا المجلس:

قيل: وقف ناصر الدين^(١) على باب مسجد والمؤذن ينادى حى على الصلاة والناس يسارعون من كل مكان فقال: والله لو قال حى على الزكاة أو على الصدقة ما جاءه من كل عشرة واحد.

الخاتمة:

سئل أنوشروان. أنت شيخ وتجمع المال. فقال: الإنسان إذا مات ويخلف لأعدائه، خير من أن يحتاج فى حياته إلى أصدقائه.

المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى وقعدوا ستة عشر درجة فى الأشرفية، والإمام كان الشيخ كمال الدين البرقوقى.

قال حضرة مولانا السلطان: إيش الخبر فى المدينة. قال: المؤذنون يدعو لكم جميع من فى البلد.

قال مولانا السلطان: وما سبب الدعاء. فخافوا إظهار سببه لكلا يغتاظ السلطان.

قال سيدى إسماعيل: لأجل رواح الحج. قال السلطان: كل سنة يروح الحج.

ثم ذكر مولانا السلطان: أريد أن أبعث هذه المراكب مع العسكر إلى مكة وأبنى قلعة فى جدة وقلعة فى ينبع.

(١) يعنى نصر الدين خوجة، وهو جحا الترك.

قلت : أهل البلد يدعون لمولانا السلطان لأجل هذا .

ثم سأل مولانا السلطان هل بطل الحج فى الزمان القديم أم لا ؟

ف قيل : المذكرو فى تاريخ الملك الظاهر بيبرس أن مدة عشر سنين بد قتل خليفة بغداد بطل الحج . ومهما بعث الملك الظاهر القفل يأخذه العرب . بعد هذا بعث ألف مملوك مع الكسوة ، وفى هذه السنة أيضاً بعث هلاكو خان كسوة مكة مع عشرة آلاف طاطر^(١) من عسكره . فألبسوا كسوة الملك الظاهر تحت وكسوة هلاكو فوق . فاتفق الططار مع أمير مكة أن ينهبوا قافلة الحج المصرى . لما عرف أمير المحمل اتفاقهم راح نصف الليل وقتل أمير الطاطر فى خيمته ، فركب أمير مكة مع بقيتهم وفعل بالمسلمين ما فعل ، ثم بعث أمير المحمل إلى أمير مكة مكتوباً مضمونه : العجب أنتم تساعدون الكفار . ثم قال أمير مكة : رح فهاات سلطانك حتى تنتقم منا بشرط أن يركب عسكره الخيل البلق . ونهب القفل . ثم جاء أمير المحمل وذكر القصة التى وقعت من أولها إلى آخرها عند الملك الظاهر . فأمر بجمع الخيول البلق من البلاد فوجدوا سبعة آلاف فركب عليهم سبعة آلاف من الفرسان الشجعان ، وبعث فى السنة الثانية إلى الحج . ففى عاشر شهر ذى الحجة جاء الخبر أن هلاكو خان بعث ثلاثين ألفاً إلى مكة فى هذه السنة ، فركب الملك الظاهر بنفسه مع هجين ووصل إلى مكة بعشرين يوماً . ولما ألتقى الجمعان وقع بينهما قتلا عظيم وركب مع الطاطر نائب مكة . وكان فى الآخر الظفر مع الملك الظاهر ، وقتل أمير مكة ونهب عسكر الطاطر ، فرأى الملك الظاهر شيخاً شريقاً يبارز مع هؤلاء ، فسأل الملك الظاهر هذا الشريف من أنت ؟ فقال : أنا رجل شريف

(١) يعنى تтары .

ظهر عندى عدم حقية أمير مكة لأجل مساعدة الكفار فأغزيت فيهم . فأعجب الملك الظاهر كلامه وألبسه خلعة النيابة . وكان اسمه الشريف عجلان ، وهو جد الشرفاء الآن^(١) .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قال كسرى : إذا أراد الملك أن يستخدم عاملاً فى شئ فالواجب أن يحقق أخلاقه وصبره وتدييره لنفسه ومنزله ، فإن كان حسن الخلق شديد السياسة صابراً على المشاق فليستخدمه وإن كان ضد ذلك فليحذر منه .

الخاتمة :

قال النبى ﷺ : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الاولى ، وقعدوا فى الأشرفية خمساً وعشرين درجة ، والإمان كان الشيخ محب الدين المكانى ، ووقع فيه لغزان ومسائل الخ :

المناسب لهذا المجلس :

أنه سئل إسكندر : أى سلطان أطهر السلاطين ؟ فقال : الذى آمن فى ظل عدله الطاهرون ، وخاف منه المذنبون .

(١) ليس فى أمراء مكة أيام بيبرس من اسمه عجلان وإنما تولى عجلان فى القرن الثامن سنة ٧٤٥ فى أيام بنى قلاوون .

الخاتمة:

قال النبي ﷺ؛ إذا دخل أحد في بلد ليس فيها سلطان فلا تقعدوا فيه جواً.

قال أم أبو الحسن^(١): لكى عضو موكل به ملك .

قال مولانا السلطان: أى ملك موكل بالبطن؟

حادثة:

جاء خبر ضعف الشيخ جلال الدين السيوطى . فقرأ مولانا السلطان سورة الفاتحة ثلاث مرات لأجله ، وتوفى فى الجمعة .

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية خمساً وخمسين درجة ، والإمام كان الشيخ عبد الرزاق ، وحضرة مولانا السلطان مدح السعتر فى تلك الليلة كثيراً ووقع فيه مسائل الخ .

المناسب لهذا المجلس:

قل لما قرب موت إسكندر كتب إلى أمه من بلاد الططر: أما بعد يا أمى اتركى سنة النساء فى البكاء والجزع ، كما تركت سنة الرجال من القبائح والبدع ، والمقصود من هذا الكتاب ألا تحزنى ولا تبكى لأجلى ولا تخالفى قولى ، وقد علمت أن الموضع الذى أروح إليه خير من الموضع الذى أنا فيه ، يا أمى اظهرى واستعدى لاتباعى ، فقد انقطع بالموت من الدنيا ذكرى بالرأى والتدبير ، فتحى ذكرى بأن تصبر وترضى بالتقدير ، فلا تعملى بى إلا ما

(١) هذا اسم عجيب لأحد جلساء السلطان ، وكان ضحكة المجلس فيما يظهر .

أحبه، لأن علامة المحب أن يعمل بما يحب حبيبته، ويدع ما يكرهه، يا أمى بعض الناس يدلك إلى المصيبة ليعرف طاعتك من المعصية، ويجرب قبولك قولى من الخلاف، يا أمى فى وقت هذه البلايا كان فكرى مشغولاً بأحوال الرعايا، واعلمى أن الخلائق تحت الكون والفساد من الابتداء إلى الانتهاء والإنسان بعد انتهائه لا بد أن يرجع إلى مقامه الأصلى، فاعتبرى يا أم بمن مضى من القرون الماضية والأمم السالفة، فانظرى إلى أنبيئهم العالية، ومساكنهم الخالية، واعلمى يا أمى أن ابنك ما رضى أن يكون مثل الملوك الصغار، فالواجب أن تكون أعمالك مثل أمهات الملوك الكبار، وليكن صبرك بقدر قدرك، والعمى أن كل شىء أوله صغير ثم يكبر، إلا المصيبة فإن أولها كبير ثم تصغر، يا أم ارضى بالتقدير، وخلينى للعليم القدير.

الخاتمة:

قال رسول الله ﷺ: الموت هدية المؤمن.

من المجلس التاسع

طلعت يوم السبت عشرين جمادى الأولى، وقعدوا فى الأشرفية أربعين درجة، والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبي.

قال صاحب العقائق: إن هارون الرشيد جمع الحكماء، وطلب منهم مدح قلة الكلام.

قال الأول: الكلام جوهر إذا تكلمت به بقى مثل الخرز.

وقال الآخر: الكلام سيف إذا تكلمت به خليته فى يد الغريم.

قال الآخر: الكلام فرس فإذا تكلمت أركبت عليه غيرك.

درة:

قال مولانا السلطان: كثرة الكلام مطلقاً ما هو مذموم، لأن كثرة بحث العلم وكثرة النصيح محمودة.

ثم قال يا رأس أسود كثرة الكلام ما هو مليح؟ قلت له: اسمع كلام حضرة مولانا السلطان فقال: السلطان ما قال إلا لأجلكم لا لأجلي^(١)، قال مولانا السلطان: ما قلت يا شيخ أحمد إلا لأجلك.

المناسب لهذا المجلس:

ثلاث كلمات من الملوك الثلاثة:

قال كسرى: ما ندمت أبداً من كلام ما تكلمته، وندمت من الكلام الذى تكلمت به.

قال قيصر الروم: الكلام الذى تكلمت به خرج من تحت حكمى وتصرفى، والذى ما تكلمت به هو تحت تصرفى.

قال خاقان الصين: كثرة الكلام لا يخلو من الغلط والأسقام.

الخاتمة:

قيل: جمع ملك الهند أربعين حملاً من الكتب فأمر بتلخيصه، لخصوه بأربع كلمات:

الأول: دلالة السلاطين بالعدالة، الثانى: وصية الرعايا بالإطاعة،

الثالث: التكلم بقدر الحاجة، الرابع: الأكل بقدر قوة البدن والطاقة.

(١) يعنى أن الخطاب لهم لا له.

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثالث عشرين جمادى الأولى وقعدوا فى الأشرفية اثنتين وثلاثين درجة، والإمام كان الشيخ كمال الدين البرقوقى، ووقع فيها الألغاز ومنام الشيخ شهاب الدين المحلى :

المنام:

رأى الشيخ شهاب الدين المحلى فى المنام أنه جاءت جماعة لابسين الحديد بهيئة التركمان وقصدوا ملك مصر، ثم جاء النبى ﷺ مع أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وقال: أنا ضامن سلطان مصر ارجعوا، وقال لى رح وكلم السلطان وقل له ليذكر لىالى العادة فى الدهيشة مع الشيخ تمرتاش والشيخ صانتباى والشيخ شاهين.

بعد عرض المنام قال حضرة مولانا السلطان: الحديد هو القوة بدليل أنى يوماً من الأيام رحت إلى بيت الأمير يشبك الدوادار ورأيت فيها أميراً وقال لى: يا أمير قانصوه رأيتك البارحة فى المنام وأنت فى طوق كبير من الحديد ثم فى النوم عرضت هذه الواقعة على الأمير يشبك الدوادار فقال لى فى الجواب: الحديد هو القوة يحصل له دولة عظيمة وقوة كبيرة بدليل (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) لابد أن تحصل لك السلطنة، وهذه الحكاية كانت قبل هذا التاريخ بثلاثين سنة.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: دخل شخص عند السلطان شاه رخ^(١) وقال: رأيت البارحة

(١) شاه رخ: ابن تيمور لنك.

فى أذنك درأً بقدر البطيخ الصيفى فقال شاه رخ استحى من هذا الكلام ، هل يوجد الدر أولاً بقدر البطيخ فى الدنيا ، وهل يسع فى أذن شخص (١) .

قال الفقير فى جوابه : أحمد الله وأشكر له ، لو رأيته بقدر قبة الصخرة فى أذنك إيش عملت به .

الخاتمة:

قال النبى ﷺ : نوم الأنبياء على ظهورهم ، ونوم المؤمنين على أيمانهم ، ونوم الكفار والمنافقين على شمائلهم ، ونوم أهل النار على وجوههم .

المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الخميس خامس عشرين جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية اثنتين وثلاثين درجة ، وكان الإمام الشيخ شمس الدين السمديسى ، ووقع فى حكايات ومسائل ، وكمل شاه نامه فى هذه (٢) الأيام .

قلت : من عجائب دولة مولانا السلطان إتمام هذا الكتاب باسمه الشريف بالتركى .

حكاية:

قال مولانا السلطان : قصد السلطان محمود بقاء اسمه إلى يوم القيامة ، قيل له : ابن العمارات العالية ، فقال : تخرب بعد ثلاثمائة أو أربعمائة سنة ، فائق رأيهم على تصنيفات الكتب باسم السلطان محمود ، فأمرؤا بنظم كتاب شاه نامه وواعدوا الفردوسى بإزاء كل بيت مثقالاً من الذهب ، فلما كمل قال

(١) يسع فى أذنه الشخص ترجمة الكلمة الفارسية كنجد .

(٢) ينظر الكلام على الشاهنامه التركية فى المقدمة .

وزيره: يكفى لشاعر فى كل بيت مثقال من الفضة وكان عدد أبياء ستين ألفاً. فبعث السلطان ستين ألف مثقال فضة إلى الفردوسى، وكان فى الحمام فأعطى عشرين ألفاً أجرة الحمامى، وبعشرين ألفاً شرب فقاعاً، وعشرين ألفاً أعطى لمن جاء بها، فلما سمع السلطان غضب عليه وأمر بقتله بعذاب أليم، واختفى الفردوسى، فأنشد هجو السلطان وراح نصف الليل عند خزين دار^(١)، وكان صاحبه وطلب كتاب الشاه نامه ليطالعه، فأخذ الكتاب وكتب فيه هجو السلطان محمود، وهرب منه، وكان السلطان فى الصيد يوماً من الأيام من الأيام فطلب كتاب شاهنامه، فلما فتح رأى هجوه فيه فانغاض غظيماً وأمر بقتل الوزير، وبعث ستين ألف مثقال ذهباً إلى مدينة الفردوسى، لما وصلت هذه الفلوس إلى باب مدينة طوس خرج تابوت الفردوسى من باب آخر، فعرضوا هذا الذهب على بنته ما قبلته، فأمر السلطان بصرف الفلوس على العمارة لأجل روح الفردوسى فعملوا قطرة عظيمة وهى الآن موجودة^(٢).

حكاية:

قال مولانا السلطان: اشتكوا عند السلطان محمود أن إياساً يروح كل يوم إلى بيت خلوة وفى هذا البيت جوار بيض، فجاء السلطان إلى بيت إياس ودار جميع بيوته ثم قصد الدخول فى البيت المعهود، فامتنع إياس فبالغ السلطان فقال: أنا أستحي أن تدخلوا إلى هذا البيت، قال السلطان لابد أن أدخل قال إياس: إذا كان كذلك فادخل أنت وحدك، ففتح باب المخزن

(١) الخازن.

(٢) هذه قصة شائعة ينظر نقدها فى مقدمة الشهامة العربية.

ودخل مع السلطان فرأى خرقه مقطعة فى البيت، قال السلطان، ما هذا:
فقال: هذه الخرقه كانت لباسى قبل خدمتكم أجي كل يوم وأنظر إليها حتى
لا أنسى فقرى أولاً وأعرف قدر خدمتك ونعمتك ثانيًا.

حكاية:

قال مولانا السلطان: طلب السلطان محمود الممالك فجابوهم فقال
إياس الخاص: يا سلطان اشترنى لله تعالى، وعندى معرفة بالأحجار والدواب
والإنسان، فاشتره وخلاه فى الطبقة، فوقع عند السلطان لؤلؤ كبير كثير الثمن
فوقع الاختلاف فى ثمنه، فقال السلطان: هاتوا إياسًا، فلما نظر إياس إلى
اللؤلؤ قال: فى جوفه دود، فأمر السلطان بكسر اللؤلؤ، الأمراء امتنعوا، وأمر
إياسًا فأخذه وكسره فخرج الدود من جوفه، ثم قال الأمراء حسدًا عليه: يا
قيل العقل بأى سبب كسرت هذا الجوهر؟ فقال: أنا ما كسرت الجوهر بل
كسرت الحجر وأنت كسرتم الجوهر الحقيقى وهو كلام الملك، فتعجب محمود
من قوله وزاد فى رزقه كل يوم رغيفين، ثم جاء فرس هدية، قال السلطان:
هاتوا إياسًا لينظر الفرس أيضًا، لما نظر إليه قال الفرس شرب لبن البقر،
فسألوا صاحبه قال: نعم، ماتت أمه وهو صغير، فربناه بلبن البقر، قال
الملك يا إياس بأى شىء عرفت؟ قال: بأن رواحه مثل رواح البقر، فزاد فى
رزقه كل يوم رغيفين، ثم طلبه بعد هذا وقال يا إياس أنت قلت أنا أعرف
الإنسان فأكشف حالى، قال: أخاف أن أقول، قال: لا تخف، قال: العفو يا
مولانا السلطان، ما أنت إلا ابن الخباز لا ابن سبكتكين، فانغاض السلطان،
فراح عند أمه وسألها ابن من؟ وقال إن صدقت خلصت من يدى وإلا أقتلك
فى الساعة، قال: أنا كنت مزوجة بسبكتكين وكان عقيمًا، وكان يريد ألا

يرث ملكه أحد من غير بيته، وعملت حيلة وقلت أنا حامل، بعد تسعة أشهر أخذت ابنًا من خباز وقلت ولدته، ثم قال الملك لإياس بأى شيء عرفت أنى ابن الخباز؟ قال بزيادة الخبز فى وظيفتى، فرباه تربية عظيمة فوق الحد والوصف.

المناسب لهذا المجلس:

قول على بن أبى طالب رضى الله عنه، شرف الشخص بالعلم والأدب، لا بأصل والنسب.

الخاتمة:

قال عمر بن عبد العزيز: لو كان فى الدنيا جوهر أعلى من الكلام، لأنزل من السماء على الأنبياء عليهم السلام.

من المجلس الثانى عشر

طلعت يوم السبت سابع عشرين جمادى الأولى، وقعدوا فى الأشرفية سبعا وثلاثين درجة، ووقع فيه مسائل، والإمام كان الشيخ محب الدين المكي.

السؤال الثالث:

ما معنى الجرکس؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: أصل الجرکس هو صارکس، جاء بينى غسان فى خلافه عمر بن الفاروق رضى الله عنه وأسلموا وحجوا وكان، سلطانهم فى الطواف وقدم فقير عليه فدفعه فوق ومات الفير، فجاء جماعة الفقير

وطلبوا من القاتل الدم فحكم عمر بقتل القاتل أو يرضيهم وما رضوا منه إلا بقتله.

قال السلطان: أمهلوني ثلاثة أيام، وفى ذلك الليل هرب وجاء عند هرقل القيصر وتنصر فبعثهم هرقل إلى بلاد الدشت، والجركنس من نسلهم^(١).

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: كان رجل طويل الأنف ومدح نفسه عند جماعة بأنه رجل متحمل المكاره، قيل له: لو ما كنت صابراً على المكاره لما قدرت أن تحمل هذا الأنف ستين سنة.

الخاتمة:

قال النبي عليه السلام: أوصيكم بالسمع والطاعة وإن كان سلطانكم عبداً حبشياً.

من المجلس الثالث عشر

طلعت يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى، وقعدوا فى الأشرفية ستاً وثلاثين درجة، والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى، ووقع فيه مسألة النخ.

الخاتمة:

قال الغزالى: اطلبوا العلم والعمل والمال حتى تجدوا رياسة العام والخاص وعند الله.

(١) يعنى قصة جبلة بن الأيهم وعمر الفاروق، وكان الغورى يرى أن الجركنس من الغساسنة.

الحمد لله والمنة، هذه الصفات موجودة فى سلطان العالم، خلفية العرب والعجم، يوسف مصر، شمس الخلافة، فلك الدولة والسعادة، أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، الملك الأشرف، عزيز مصر، أبو النصر، قانصوه الغورى عز نصره.

رب كما جعلت أغصان اللسان فى بساتين أفواه الإنسان ثمرة لذكر خيره الذى هو خارج عن الوصف، اجعل مدة خلافته أكثر من ألف ألف، والملائكة نظارة بمواكبه الشريفة صفًا بعد صف.

الواقعة:

وفى يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة انتقل القاضى شهاب الدين ابن فرفور، من دار الغرور إلى جوار رحمة الرب الغفور، خفف الله حسابه يوم النشور.

الروضة التاسعة

فى مجالس جمادى الآخرة

من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة، وقعدوا فى الأشرية خمساً وأربعين درجة، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبي، ووقع فيه مسائل وحكاية. النخ.

مرحمة:

ثم سألنى مولانا السلطان فقال: أنت حجيت يا شريف؟ قلت: لا، فقال: ألا تحتج، قلت: نعم.

ثم قال: أنت دخلت بلاد الأكراد، قلت: خفت أن أدخل.

قال مولانا السلطان: لايش، قلت: دخل شريف إلى بلادهم فعزروه وعظموه غاية التعظيم والتكريم، ثم جاءوا وقالوا له إن بلادنا ليس فيها تربة شريف شهيد وأنت رجل فى غاية الديانة، مقصودنا أن نقتلك ونبنى على قبرك تربة عظيمة، هل نقتلكم بسيف أو بخنجر؟ فلما سمع الشريف هذا الكلام منهم هرب فى نصف الليل وترك حوائجه عندهم.

حكاية:

قال مولانا السلطان: إن الأكراد يضيفون الضيف غاية الضيافة، وإذا خرج الضيف من بينهم يجيئون قدامه ويقولون له: إن الأكراد يعرفونك، فنحن أولى بالتعزية فإنك أكلت خبزنا وملحننا.

قال أيضاً: هم بعكس العرب: قيل أعرابى قصة قتل واحد وجاءت

زوجته بغيبة الرجل فأعطته رغيماً، فلما رأى العرب أنه أكل من رغيفه قال:
دمك ومالك صار حراماً علينا، من ناولك هذا الخبز؟

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: دخل لصوص الكرد إلى بيت رجل فقير (مهما فتشوا ما
وجدوا فيه شيئاً^(١)) قال صاحب البيت: يا فتيان هذا الذي تطلبونه بالليل قد
طلبناه بالنهار فلم نجده^(٢).

الخاتمة:

قيل، حضر أعرابي في سماء الحجاج فجابوا الحلاوة، قصد الأعرابي
أكلها، قال الحجاج من يأكل من هذا يضرب رقبتة، فامتنع الناس كلهم،
وكان الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الحلاوة مرة وقال: أيها الأمير
أوصيك بأولادى خيراً، فمد اليد إلى الحلاوة فأكل منها، وضحك الحجاج
حتى استلقى وأمر له بصلة.

من المجلس الثانى

طلعت يوم الأربعاء ثامن جمادى الأخرى فى الديوان مع حضرة مفتاح
أبواب البر، القاضى كاتب السر والقاضى ناظر الجيش وطلبت إجازة السفر.
قال حضرة مولانا السلطان: ما سبب سفرك؟ قلت قولكم البارحة
أولاً، وصلة الرحم ثانياً فقال: البارحة مزحت، تروح من البر أو من البحر؟
قلت: أروح من البر، فقال: ما نبعثك إلا من البحر وبلا حج ما نخليك أن
تروح، وفى الأخ رضيت بالبحر.

(١) مهما هنا تقابل بالفارسية: جندانكه، وظاهر فى العبارة المحاكاة الفارسية.

(٢) هذه الحكاية فى كلستان الشيخ سعدى الشيرازى.

قال مولانا السلطان: الغالب أن الشريف مفلس في هذه الأيام، قلت: وكيف لا؟ أعطيتني وظيفة التصوف في المدرسة وما وصل إلى جديد واحد منه^(١).

قال مولانا السلطان: أعطيت الوظيفة نعم، قلت اسمع يا قاضى عبد القادر وأنا من المائة.

قال السلطان: ما معنى هذا؟ قلت: القاضى يقول لى أنت^(٢) خارج عن جماعة المتصوفة.

قال مولانا السلطان: أنت من المائة بدل شهاب الدين الرملى، وزاد عليها من الجوالى بمصر كل يوم نصف فضة. ثم قرأنا الفاتحة ونزلنا

الجلس الثالث

طلعت يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة وقعدوا ثمانى عشرة درجة فى الأشرية، وكان الإمام سيدى على الأخمى، ووقع فيه مسائل:

السؤال الأول:

قال الله تعالى فى حق يحيى (سيداً وحصوراً)
وقال فى حق مالك يوسف (وألفيا سيدها لدى الباب)
كيف يجوز مدح كافر بمدح نبي؟

(١) الجديد سكة لا تزال تذكر على لسان عامة مصر.

(٢) بنى السلطان مدرسة فى الغورية وأجرى فيها أرزاقاً على الصوفية.

الجواب:

قال مولانا السلطان: وصف الله تعالى مالك يوسف بالسيد لأنه ما التفت إلى شكوى زليخا وحكم بينهما بالحق، ولهذا وصفه بالسيد.

السؤال الثاني:

ما حكمة وصفك مالك يوسف بوصف العزة في قوله (امراة العزيز) مع أنه قال في حق نبيه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز)؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: بسبب إعزاز يوسف في قوله (أكرمي مثواه) وصل إلى درجة العز.

السؤال الثالث:

يوسف الصديق هل وصل إلى درجة السلطنة أم لا؟

الجواب:

قيل: نعم بدليل (رب قد آتيتني من الملك) وضعفه ظاهر.

حكاية:

قال مولانا السلطان: إن الريان كان سلطاناً ذا شوكة وكان له في مصر ثلثمائة وستون مقعداً ويجلس كل يوم في مقعد، وفي سنة كاملة يدور جميع المقاعد، وسافر إلى بلاد الحبشة اثنتى عشر سنة، وكان يوسف نائباً عنه في مصر وما تغير حال مملكته قط بغيبته.

قال صاحب العقائق: القميص الذي لبسه يوسف في الحب لما لبسه أبوه ارتد بصيراً، وبعد هذا كل من يلبس هذا القميص لو كان شيخاً يصير شاباً.

درة:

قال مولانا السلطان: يا ليت هذا كان فى خزيتنا حتى نبلس به ابن عبد العزيز ليصير شاباً، قلت: هو صار شاباً بسبب التفات مولانا السلطان.

حكمة:

قال مولانا السلطان: ملوك الصين يسمونهم بالخاقان قديماً، وبالفور حديثاً.

وملوك الترك العظام يسمونهم خان، ودونهم يسمونهم بكوركان^(١).
وملوك العجم يسمونهم قبل الإسلام بكسرى، وبعد الإسلام يسمونهم بادشاه.

وملوك الروم فى الجاهلية بقيصر، وفى الإسلام يسمونهم بخوانكار^(٢).
وملوك الهند يسمونهم قديماً براى، وحديثاً يسمونهم بفور.
وملوك اليمن يسمونهم فى الجاهلية بتبع، وفى الإسلام يسمونهم بالمشايخ.

وملوك مصر يسمونهم فى الكفر بفرعون، وفى الإسلام يسمونهم بالعزیز.

وملوك الحبشة يسمونهم بالنجاشى.

وفى جميع بلاد الإسلام الآن يسمون ملوكهم سلطان وبك.

(١) معناه بالخمولية: الصهر، وبه لقب تيمور.

(٢) يعنى سلاطين السلاجقة والعثمانيين فى آسيا الصغرى التى كانت تسمى بلاد الروم، وكلمة خوانكار (وتكتب أحياناً خنكار) مختصرة من خدواندكار بمعنى السيد أو الأمير.

المناسب لهذا المجلس:

قول سيد العرب والعجم، ﷺ: سيد الكلام العربية، وسيد كلام العربية القرآن، وسيد القرآن آية الكرسي، وسيد الجبال طور سينا، وسيد الأشجار طوبى، وسيد البلدان مكة، وسيد السودان لقمان، وسيد فارس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد القوم خادهمهم.

الخاتمة:

اشترى رجل شيئاً فمر بسلمان الفارسي رضى الله عنه وهو لا يعرفه، وكان أمير المدائن، وقال له: احمل هذا يا علعج، ولقيه واحد وقال ادفعه إلى أيها الأمير، فقال لا والله ما يحمله إلا العلعج.

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت حادى عشر من جمادى الأخرى، وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة، وكان الإمام الشيخ عبد الرارق، ووقع فيه مسائل الخ.

حكاية:

قال صاحب العقائق: خرج رجل من مصر ودار البلاد مدة مديدة من ولما وصل إلى الصالحية ومعه خرج من الأقمشة جاء لص نصف الليل وربط رجله بحبل إلى مسمار وأخذ الخرج من تحت رأسه، فجاء اللص إلى مصر ودق باباً وخلقى الخرج عندهم أمانة، ثم جاء الخواجة^(١) إلى بيته مهموماً

(١) يعنى التاجر، وكلمة الخواجة (والواو غير ملفوظة) تقال للسيد والتاجر، وبها سمي تاجر الأوربيين ثمن قيلت لكل أوروبى.

فلقى خروجه فسأل امكرأته، فقالت أمانه لجماعة غرب، فبعد يوم جاء اللص ودق الباب، فبعث الخواجة له الحبل والمسمار.

المناسب لهذا المجلس:

قيل: رجل اشترى الأحجار لأجل البناء فجاء اللص وأخذها، فالتقى بصاحب الحجر فقال له اللص والله ما عرفت أنها لك، فقال صاحب الحجر هب أنك ما علمت أنها لى، أما علمت أنها ليست لك؟

الخاتمة:

سرق خرج لشخص وفيه ثيابه وأسبابه، قيل له وجب أن تقرأ سورة يس وتعملها تعويذاً، قال المصحف الكامل كان أيضاً فى الخرج سرقوه.

من المجلس الخامس

طلعت يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة، وقعدوا خمسين درجة فى الدهيشة، والشرىف ما كان حاضراً فى خدمته، فسأل عنه السلطان، فقلت: الشرىف مريض ثم قال هل عنده أحد يخدمه؟ فقلت: عنده جارية سوداء، قال السلطان: ليله ظلام ونهاره ظلام، وكان الإمام الشىخ محب الدين المكى، ووقع فيه حكايات الخ.

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة، وقعدوا فى الأشرفية خمساً وأربعين درجة، ووقع فيه مسائل، وكان الإمام الشىخ عبد الرازق.

حكاية:

قال فى التاريخ: ذكر الحاكم بأمر الله^(١).

لطيفة:

قال مولانا السلطان: ينبغى أن يقال: ذكر الحاكم بغير أمر الله.

غريبة:

ووقع البحث فى نهاية زيادة النيل، قيل: اثنين وعشرين ذراعاً، قال أم أبى الحسن: أنا رأيت الماء فى القرافة.

قال مولانا السلطان: هذا جزاف لأنه لو زاد الماء خمسة وعشرين ذراعاً ما يصل الماء إلى القرافة.

قال مولانا السلطان: هذا جزاف لأنه لو زاد الماء خمسة وعشرين ذراعاً ما يصل الماء إلى القرافة.

عجيبه:

ذكروا فى التاريخ زيادة شط بغداد وتخريبه ووصول الماء إلى دار الخلاف فركب الخليفة على مركب وما وجد طعاماً يأكله أياماً.

السؤال الأول:

قال مولانا السلطان: هل تجوز الزكاة على اليهودى والنصارى فى المذاهب الأربعة؟

قلت: عند الإمام أحمد يجوز أن يكون العامل نصرانياً أو يهودياً.

(١) يعنى أنهم كانوا يقرءون كتاباً فى التاريخ وفيه فصل عنوانه: ذكر الحاكم بأمر الله.

السؤال الثاني:

قيل: هل يجوز للشريف أن يأخذ الزكاة؟

الجواب:

قالوا: لا.

قال مولانا السلطان: ولا الصدقة أيضاً، لأنهم من أولاد أشرف المخلوقين، فبسبب أخذ الزكاة والصدقة تكسر حرمتهم، بل لابد من رعاية الأشراف من جهة الخمس^(١).

السؤال الثالث:

هل تجوز الزكاة لليتيم؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: لابد من رعاية الأيتام مثل أولاد الصلب.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: الأمير نصر أحمد الساماني^(٢) كان من كبار سلاطين سمرقند، وكان له فقيه وهو صغير، فلأجل التعلم ضربه كثيراً، وكان في خاطر السلطان أنه إذا تولى المملكة فأول حكمه أن يأمر بضرب الفقيه، لما تسلطن بعث طواشياً مع الفلق والعصا، لما رأى الفقيه هذا عرف أنه يوم الانتقام والجزاء. فأخذ سفرجلاً وراح إلى خدمته، قال له الملك: كيف حالك وما بالك؟ فأخرج الفقيه السفرجل وقال: هذه الفاكهة اللطيفة لا تحصل إلا من

(١) خمس الغنائم.

(٢) يعنى نصر بن أحمد وهو الرابع من الملوك السامانيين (٣٠١ - ٣٣١).

العصا، وهذه الصفات المرضية والأخلاق الحميدة التى فىك من هذا، وذلك الوقت الأمر أمرك والحكم حكمك، فأمر له بخلعة فاخرة.

الخاتمة:

قال إسكندر: ينبغى للعاقل أن يخاطب الخصم مخاطبة الطبيب المريض.

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأخرى، وقعدوا فى الدهيشة أربعين درجة، وكان الإمام الشيخ كمال الدين، ووقع فيه مسائل:

السؤال الأول:

مناقشة الخلافة والسلطنة:

قال مولانا السلطان: إذا كان السلطان فى الجنازة حاضراً من الأولى بالإمامة؟

الجواب:

قلت: السلطان فى مذهب أبى حنيفة وقول الشافعى القديم ومالك وأحمد رحمة الله عليهم.

السؤال الثانى:

ثم من؟

الجواب:

قلت: القاضى.

قال أم أبى الحسن: الأولى هو الخليفة.

قلت: اسم الخليفة ما هو مذكور فى كتب الفقه.

قال أم أبى الحسن: لا تصح أنكحه المسلمين فى بلاد ما لبس سلطانهم خلعة الخليفة، وأولادهم أولاد الزنا.

قلت: فعلى هذا أولاد بلاد الروم والعرب والعجم كلهم أولاد الزنا، لأن سلاطينهم ما لبسوا خلعة الخليفة قطرة.

المكابرة:

قيل: أى شىء فى بلاد العجم صحيح حتى تكون سلطنتهم أيضاً صحيحة؟

الجواب:

قلت: من يقول هؤلاء خلفاء، ومن ولاهم^(١)؟

حكاية:

قبل هذا التاريخ بأربعين سنة^(٢) بعث خليفة مصر خلعة إلى سلطان العجم جهانشاه^(٣) فقعد فى بابه القاصد مدة ستة أشهر فذكروه عند السلطان، لما دخل المقاصد وذكر قصة الخلعة قال الملك: لو ما كانت غريباً لقطعت

(١) يعنى الخلفاء العباسيين فى مصر.

(٢) سلطان مصر قبل أربعين سنة من تأليف هذا الكتاب كان السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١).

(٣) ينبغى أن يكون المراد جهانشاه بن قره يوسف من أسرة قراقيونلى الذين حكموا فى العراق وأذربيجان (٧٨٢ - ٧٨٤) وكان ولاية جهانشاه من ٨٤١ إلى ٨٧٢ وكان الخليفة العباسى إذ ذاك المستنجد بالله يوسف (٧٥٩ - ٨٨٤).

لسانك، ثم قال الملك: ألبس خلعة خليفتك أنت، وأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال ما أعطيتك هذا الفلوس لأجل الخلعة ولكن أعطيتك لأنك جئت إلى أبوابنا الشريفة، والعلماء ما أنكروا على السلطان.

حكاية:

بعث خليفة مصر خلعة إلى بلاد ابن عثمان لأجل السلطان محمد^(١) الرومى لما دخل فى مجلسه العلى وذكر قصة الخلعة قال السلطان: أنا خليفة الأرض ينبغى أن ألبس الخلعة جميع سلاطين الدنيا، فقطع خلعة الخليفة وقال: ما يستحى ذلك الشويخ أن يتكلم بهذا الكلام وانغاض يومين، وعلماء الروم ما أنكروه^(٢).

الجدل:

قال أم أبى الحسن: ما تقولون فى حديث عباس: الخلافة فىك وفى أولادك إلى يوم القيامة؟

الجواب:

قلت: هذا حديث موضوع، لأنه لو كان هذا الحديث صحيحاً لما تقدم أبو بكر على عباس رضى الله عنهما، لأن هذا نص فى العباس، وأيضاً إذا كان الخلافة بالإرث فلا بد بعد أبى بكر أن يكون الخليفة ابنه، ويلبس الخلعة عمر من ابن أبى بكر رضى الله عنه.

(١) السلطان محمد إما أن يكون محمد بن بايزيد المعروف باسم محمد جلى (٨١٦ -

٨٢٤) وإما أن يكون محمداً الفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦).

(٢) رواية فيها نظر؛ فإن رسائل السلاطين العثمانيين تدل على تعظيم الخليفة العباسى.

وأيضاً قال أهل السنة: الخليفة الحق بعد النبي عليه السلام أبو بكر،
وقال الشيعة: الخليفة على، وما شك أحد من الفريقين في خلافة عباس.

السؤال الثالث:

قيل: وصى النبي عليه السلام بالخلافة لأبي بكر ثم لعمر ثم لعثمان ثم
لعلى رضوان الله عليهم أجمعين.

الجواب:

هذا مخالف لقوم المتكلمين لأنهم قالوا: ما وصى النبي عليه السلام
بالخلافة لأحد من الصحابة، بل صار الأمر بعده بالمبايعة، فبايع الصحابة لأبي
بكر رضى الله عنه ثم وصى لعمر، فعمل عمر أمر الخلافة بالشورى بين
طلحة والزبير وعثمان وعلى وعبد الرحمن وسعد، وقال: لو اتفق هؤلاء
الستة على واحد فهو الخليفة، ولو اتفق أربعة على واحد فاعملوه، ولو اتفق
ثلاثة على واحد وثلاثة على واحد فاعملوا من ابن عوف معه، واتفق الثلاثة
مع ابن عوف على عثمان فعملوه خليفة، ثم بعد عثمان بقى أمر الخلافة
مهملاً فاختر المسلمون على بن أبي طالب.

التحقيق:

وأنت تعلم أن معاوية ما لبس خلعاً الخلافة من العباسيين ولا يزيد،
وكذلك مروان والوليد، مع أن عبد الله بن عباس كان في زمانهم.
أعلم أن الخلفاء العباسية ما ولاهم إلا أبو مسلم الخراساني.

السؤال:

قال مولانا السلطان: ما مقصودك من هذا البحث؟

الجواب:

قلت: أريد أن أخرج نفسى من بين أولاد الزنا، لأن سلاطين بلادنا ما لبسوا خلعة الخليفة قط.

السؤال:

قال مولانا السلطان: أنت دخلت مجالس سلاطين العجم ورأيت مجالسنا؟

الجواب:

قلت: إشكالى ما هو إلا هذا: لأنهم بطول النهار فى الخمر والزمر، ومع هذا لا يشك أحد فى صحة توليتهم، فكيف يجوز أن يشك أحد فى سلطان الحرمين الشريفين وعزيز مصر ويقول: توليته بغير إذن الخليفة لا تصلح؟

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: كم تكبيرة فى صلاة العيد؟

الجواب:

قلت: يرتعد بدنى وما أقدر أن أتكلم.

قال مولانا السلطان: خفت؟ قلت: لا.

الجواب:

قلت: خمسة فى مذهب الشافعى فى الركعة الأولى بغير تكبيرة الإحرام وتكبير الركوع، وخمسة فى الركعة الثانية، وعند أبى حنيفة رحمه الله فى

الركعة الأولى خمسة مع تكبيرة الافتتاح وأربع في الثانية فالمجموع ثمانية^(١).

المجادلة:

قال كمال الدين البرقوقى: يا مجنون.

الجواب:

قلت: المجنون ما هو إلا أنت.

قال مولانا السلطان: لا تتكلم مع الشريف بالخرق.

جدل:

قال خواص المؤذن: يا مولانا السلطان من ولد فى بلاد ما لبس سلاطينهم خلعة الخليفة لا يليق بهذا المجلس.

الجواب:

قلت: اسكت: قال مولانا السلطان: تخلصت لو جبت الفتوى من الأئمة الأربعة، قلت: لو ما جبت ليضرب رقبتى خضرة المقام الشريف.

المناسب لهذا المجلس:

قول سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً وإمارة.

(١) تكبيرات العيد عند الحنفية ثلاث فى كل ركعة وقد زاد المؤلف عليها تكبيرتى الركوع.

الخاتمة:

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أعدل الناس يستحق أن يكون أميراً عليكم.

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم السبت ثامن عشرين جمادى الآخرة، وقعدوا فى الدهيشة أربعين درجة، وكان الإمام الشيخ شمس الدين السمديسى، وجاء الممالك الصغار وقرأوا قدام مولانا السلطان جوقاً بعد جوق، وما وقع البحث فى تلك الليلة.

الخاتمة:

قال أفريدون الملك: لا بد أن يكون السلطان تام الخلقة، عظيم البطش والقوة، جهير الصوت، لأنه أوقع فى النفوس، تام القامة، سليم الأعضاء والحواس.

وكان العجم يصورون صور سلاطينهم ووقائعهم فى جدران بيوتهم تخليداً لذكورهم.

وهذا موافق للشريعة الغراء المحمدية (عليه الصلاة والسلام) وهو أنهم قالوا: شرط الإمام أن يكون عاقلاً بالغاً مسلماً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً ذا رأى وكفاية سميعاً بصيراً ناطقاً سليم الأعضاء قرشياً، وإن لم يوجد قرشى مستجمع للشروط فكنانى، وإن لم يوجد فمن ولد إسماعيل، وإن لم يوجد يولى المستجمع من العجم أو من ولد إسحاق.

الحمد لله والمنة، أصل الجركس من بنى إسحاق، وجميع هذه الشرائط

موجودة فى السلطان الأعظم، الخليفة المعظم، عمدة سلاطين الآفاق، وقدوة الملوك بالاستحقاق، مظهر أسرار "جعلنا كم خلائف فى الأرض" سلطان الأقاليم السبع بالطول والعرض، أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، الملك الأشرف أبو النصر، عزيز مصر، قانصوه الغورى، اللهم كما محوت راية الظلم وجعلت آية النهار مبصرة، وصيرت هجوم عصاة دولته عند ارتفاع شعاع صولته كحمر مستنفرة فرت من قسورة، اجعل ذيل مدة بقاءه إلى الأبد، وزين ملكه بزينه "ما لم يؤت أحد" ^(١) بجاه محمد يا واحد يا أحد، إنك بالإجابة جدير يا فرد يا صمد.

(١) إشارة إلى الآية: وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

الروضة العاشرة

فى مجالس شهر رجب

المجلس الأول

طلعت يوم السبت ثالث شهر رجب المرجب، وقعدوا فى الدهيشة أربعين درجة، وكان الإمام الشيخ محب الدين المكي، وسأل حضرة مولانا السلطان جواب مسألة الخلافة؟

قمت وبست الأرض وقعدت فى وسط المجلس وأخرجت الفتاوى، وكان المكتوب فيها:

ما قول سادة العلماء رضوان الله تعالى عليهم فى رجل يقول لا تصح أنكحة المسلمين ولا ولاية حضرة سلطان مصر ثبتته الله تعالى على قواعد مملكته بلا استخلاف أمير المؤمنين يعقوب المستمسلك بالله خليفة مصر العباسى، ويصر بهذا القول ولا يرجع بفتوى الأئمة الأربعة، هل للحاكم أن يعزره أم لا؟

الجواب:

كتب الشيخ برهان الدين ابن أبى شريف فى الجواب: الحمد لله الهادى للصواب، ليس الأمر كما قال هذا القائل ومن عاند فى ذلك وأصر على المعاندة يعزر، والله أعلم.

وفى آخره: كتب إبراهيم بن أبى شريف الشافعى.

الجواب:

وصححه الشيخ كمال الدين الطويل.

الجواب:

وصححه القاضى عبد البر بن الشحنة قاضى قضاة الحنفى ، وصححه أيضاً الشيخ برهان الدين الدميرى قاضى قضاة المالكى ، وصححه قاضى قضاة الحنبلى .

الجواب:

وصححه أيضاً الشيخ بدر الدين الديرى الحنفى .

هذيان:

ثم قال أم أبى الحسن: فخر سلطان مصر على سلاطين الدنيا بأنه هو نائب الخليفة؟

الجواب:

قلت: بقى عليكم شىء وهو أن سلطان اليمن مستقل فى السلطنة بلا نيابة أحد، فكيف يجوز أن يكون سلطان مصر والخرمين الشريفين نائباً، ولا يفتخر أحد بالنيابة غير الشرعية.

المسألة:

قال حضرة مولانا السلطان: ما تقول فى الملك بيبرس الظاهر أنه لبس خلعة الخليفة؟

الجواب:

قلت: لأجل جبر خاطرهم لأنهم كانوا أولاد الخلفاء العباسية وكانوا مكسورى الخاطر، فقصد الملك الظاهر تعظيمهم ولبس منهم خلعة، وفخر الخليفة أنه لبس منه سلطان مصر، ولا يفتخر سلطان مصر بخلعته.

هذيان:

قال أم أبى الحسن: لو تكلم الشريف هذا الكلام فى رمن السلطان قايتباى لضرب رقبتة.

ثم غضب حضرة مولانا السلطان وقال: أنت جئت لتضرب رقبة الناس؟ ما لنا بك حاجة وبالذى يضرب رقبة أصحابنا، كنت فى لعنة الله لولا تضرب رقبتة بكره الشرع^(١).

درة:

وفائدة كلامك أن قايتباى كان ظالمًا بهذه المرتبة؛ متى رأيت السلطان قايتباى ومتى دخلت مجلسه، أنت تحسب أنا ما أعرفك؟

درة:

وقال له: أنت تقعد فى وسط المجلس بسبب إيش، وتتكلم كثيرًا؟ قم.

درة:

ثم التفت حضرة مولانا السلطان إلى اليمين وإلى اليسار وقال: ما أنتم شاهدون على أنه قال رأس أسود: لا تصح أنكحة المسلمين فى بلاد ما لبس سلطانهم خلعة الخليفة وكلهم أولاد الزنا، ولا يصح أيضًا تولية سلطانهم، روحوا بكرة مع الشريف واشهدوا عند القضاة الأربعة، ومهما يجىء عليه بالشرع اعملوا به.

(١) الخطاب الشريف مؤلف الكتاب.

هذيان:

قال: أنا قلت: لا تصح أنكحة المسلمين في مصر إلا باستخلاف الخليفة.

فغضب عليه مولانا السلطان ثانيًا: وقال: بلاد مصر ليست ببلاد المسلمين أو سلطانها أقل من سلاطين الدنيا؟
فحضر المجلس قالوا له: قم من مقابلة السلطان، فصار كالميت.

جوهرة:

قال حضرة مولانا السلطان: يا شريف أنت وأولاد الروم والمغرب والعجم واليمن كلكم روحوا معه عند القضاة وغروره.

عجز:

وفي آخر المجلس راح أم أبى الحسن وباس رجل الشيخ محب الدين الإمام فشفعوا فيه.

فطلبني حضرة مولانا السلطان وقال: اصطلحوا ولا تذكروا من هذا الكلام.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل لأنو شروان: ما بال الرجل يتحمل حمل الثقيل ولا يتعب به ولا يتحمل مجالسة الثقيل؟

الجواب:

قال أنو شروان في الجواب: لأن حمل الثقيل تساعده فيه جميع الجوارح ومجالسة الثقيل تنفرد فيها الروح.

الخاتمة:

قال إسكندر: أضيق الحبوس مجالسة الثقيل.

من المجلس الثالث

طلعت يوم الخميس ثامن شهر رجب، وقعدوا فى الدهيشة سبعاً وعشرين درجة، والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبي، ووقع فيه مسائل.
ذكر فى التاريخ كتاب دار إلى إسكندر وهو هذا:

من داراب ملك ملوك الدنيا الذى أنور من السماء إلى ذى القرنين اللص، أما بعد: اعلم أن ملك السماء جعلنى ملك ملوك الأرض، وقد بلغنى أنك جمعت لصوصاً لتفسد فى أرضنا، واعتقدت أن تغلب على بلادنا، فأرجع إذا نظرت إلى كتابنا من غير مؤاخذه بسفك الدماء، فإنكم غلام حقير ليس مقلّى مقابلك، ابق على نفسك وبلادك وإلا كنت أول مشنوم على ديارك.

جواب الكتاب:

من ذى القرنين بن الفليفوس الملك إلى الذى رعم أنه ملك الملوك وأن جند السماء له، وأن جنود الدنيا منه.

وبعد: فقد كتبت أن إضاءة كإضاءة الشمس، فكيف يجوز أن يهابك إنسان صغير مثل ذى القرنين، فلا تظن نفسك ملك الملوك وأن نور الدنيا منك، وإنما ملك الملوك هو الله الذى خلق الملك والمملك، يؤتى الحكمة من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وإنما أنت إنسان مترف أظهر لك جهلك، سميت نفسك باسم الإله الذى يحى ويميت، وهو حى لا يموت، ويجب عليه

الغضب ممن تسمى باسمه ، وكيف يكون ملك الملوك من يموت ويذهب
سلطانه ويترك دنياه بغيره ، وما أنت إلا ضعيف من الضعفاء ولا تطيق مساواة
ذوى القوة والبأس .

والآن أنا متوجه لقتالك لأذيقك مثل ما يذيق الميت ملك الموت ، وأرجو
النصرة من الإله الذى خلقنى وإياه أعبد وبه أستعين .

واعلم أنك غلوت فى نفسك ، وسطوت فى سلطانك .

وأرجو أن يساعدنى الله بقدر ما رفعت نفسك حتى يسمع أهل
الأرض ، وعليه توكلت وإليه أنيب .

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها صاحبها، وبلاء لا
يرحم عليه صاحبه؟ قال: نعم، أما النعمة فهي التواضع، وأما البلاء فهو
الكبر .

الخاتمة:

قال جمشيد الملك: هلاك المرء فى العجب والكبر .

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت عاشر شهر رجب ، وقعدوا فى الدهيشة عشرين
درجة ، وكان الإمام سيدى على الأخمى ، وفى تلك الليلة ما غير حضرة
مولانا السلطان قماشه ، وقعدوا فى الدهيشة من أول طارئ إلى آخر المجلس ،
ووقع فيه مسائل ، وجابوا بماليك الصغار وقرأوا فى المجلس ، وكان كثير من
الأمراء واقفين فى خدمته ، وأم أبى الحسن أيضاً كان واقفاً بينهم .

فراح حضرة مولانا السلطان إلى المبيت فطلب قاضى غزة، فدخل أم
أبى الحسن مع القاضى بلا سؤال .

قال حضرة مولانا السلطان: من طلبك يا شيخ أحمد؟ فقام على حيله،
وبعد ساعة تكلم وقال: فى يوم بنى الجامع عمرو ابن العاص عمل فى
ثمانمائة زوج من البساط أقل طول كل واحد منه عشرون ذراعاً فى عرض
عشرة، فتعجب الحضار.

جوهرة:

قال حضرة مولانا السلطان: هذا الكذب قطرة من نهر كلامه، قلت:
أولاً قد يثبت أن الصحابة رضى الله عنهم ما وصلوا على البساط.

درة:

قال حضرة مولانا السلطان: على تقدير الوجود هذا يملأ عشرة مثل
هذا الجامع فما حكمة الإسراف فى البسط؟

المناسب لهذا المجلس:

قيل: خرج ضرير فى ليل مظلم وفى يده لحم على الساج وفى يده
الأخرى السراج، قيل له: حمل سراج الضرير من صقاعة الذقن وسوء
التدبير، لأن الليل والنهار متساويان عند الضرير، فضحك الأعمى وقال:
اسمع، فائدة حمل هذا النور لأجل مثلك أعمى القلب المغرور، حتى لا
يدفعونى ويكبوا طعمى لا لأجل نفسى.

الخاتمة:

قال الخليفة لابنه: إذا أردت المهابة فلا تكذب، لأن الكاذب لا يهاب ولو كان معه مائة ألف سيف.

المجلس الخامس

طلعت يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب، وقعدوا في الدهيشة ثمانياً وثلاثين درجة، وما خرج حضرة مولانا السلطان بعد المغرب من الدهيشة، وكان الإمام في تلك الليلة الشيخ شمس الدين السمديسى، ووقع فيه مسائل.

السؤال الأول:

قال مولانا السلطان: ما معنى أشتاتاً في اللغة؟

الجواب:

قال أم أبي الحسن: إن في القيامة يمطر أربعين يوماً منى الآدمي، الرد: قلت: لا دخل لهذا الكلام في جواب سؤال مولانا السلطان.

تحقيق:

قال مولانا السلطان: يا شيخ أحمد تريد أن تتوه كلامي وسؤالي.

السؤال الثاني:

قال مولانا السلطان: مع معنى قوله تعالى: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) ما شجرة بهذه الصفة في الدنيا؟

الجواب:

قلت: المراد من السماء هو العلو، أو نقول: المراد من الشجرة النخل،

أو نقول: يمكن أن يفرض شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وشبهت الكلمة الطيبة بها مقل قول القائل:

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد
ولا يلزم أن يكون المشبه به موجوداً.

السؤال الثالث:

قال مولانا السلطان: ما معنى لفظ الحين فى آخر هذه الآية الكريمة؟

الجواب:

فيه اختلاف بين المفسرين، قيل: المراد من الحين ستة أشهر وقيل شهران.

قال السمديسى: الحين يطلق ويراد به أربعون سنة كقوله (هل أتى على الإنسان حين من الدهر).

وقد يطلق ويراد به ستة أشهر بدليل (تؤتى أكلها كل حين) وقد يطلق ويراد به الآن.

السؤال الرابع:

قال مولانا السلطان: لفظ الحين فى هذه المعانى مستعمل على الحقيقة أو على المجاز؟ وعجز الشيخ عن الجواب.

الجواب:

قلت: قد يطلق الحين أيضاً على القيامة مثل (فتمتعوا حتى حين).

وقد يطلق بمعنى الموت كقوله تعالى (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين).

التحقيق:

قلت: هذه المعانى الثلاث التى ذكرها الإمام فى اصطلاح الفقهاء، وأما عند أهل التفسير فاستعمالات لفظ الحين كثيرة.

واقعة:

وفى هذه الأيام خرج ثيران السلطان إلى برسيم، ونهب خدام الثيران بعض الدكاكين، وكانت هذه عادة مستمرة، وبدعة مستقرة، فى زمن السلاطين السالفة مثل بيبرس وقلاوون.

لما سمع حضرة مولانا السلطان: أنهم نهبوا أمر بالنداء برفع هذه البدعة القبيحة والعادة السيئة.

وأمر أيضاً بالنداء: من ضاع منه شىء بسبب هذه الجماعات لابد أن يجىء ويأخذ من حاجى بركات المحتسب، وخلقى عنده ألف دينار.

ثم كتب أصحاب الدكاكين فكان كل ما ضاع منهم ثلاثمائة دينار، فأخذوها من المحتسب.

العدل:

قال حضرة مولانا السلطان: لو ضاع منهم والله عشرة آلاف لأعطيتهم.

سياسة:

وقال للجماعة الذين اشتكوا: لأى شىء ما قتلتم هذه الجماعة البقارة.

مرحمة:

وقال حضرة مولانا السلطان: لو كان ابنى يظلم الناس مالى حاجة به.

الإنصاف:

ثم أمر حضرة مولانا السلطان بصلبهم، فشنقوا أربعا منهم وجرسوا البواقى .

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل : خرج ليلا السلطان محمود بيلوزيوم فقير، فرأى عجوزاً مهمومة فقال: ما سبب همك؟ قالت: يجيء جندى ويزنى بيتى قال: ما لباسه وما زيه؟ قالت: كذا وكذا، قال الملك مهما يجيء أخبرنى فلانا الطواشى .

لما أخبرته خرج السلطان بهيئته الأولى وفى يده سيف، فجاء إلى بيت العجوز وقال: يا عجوز أطفئ السراج، فقتل الجندى، ثم قال السلطان: هل عرفت من هو؟ قالت: لا، قال: هذا ابنى، وأنا السلطان محمود، وأنا أمرتك بإطفاء السراج حتى لا أنظر وجهه فأرحمه .

الخاتمة:

قال أنوشروان: إصلاح الرعية أحسن من كثرة الجنود والمملكة .

المجلس السادس

طلعت يوم الخميس خامس عشر شهر رجب، وكان الإمام الشيخ محب الدين المكي، وعمل حضرة السلطان مولدًا الجواب جمع فيه السادات والعلماء والقضاة والمشايخ والأمراء، وحضرة المخدم تاج الأكابر القاضى كاتب السر، والقاضى عبد القادر القصروى، ولبس الأمير الكبير بعد العشاء خلعة بدن مولانا السلطان، وقعدوا فى الدهيشة خمساً وسبعين درجة .

المناسب لهذا المجلس:

قيل لما قصد إسكندر تسخير ملك الصين رسول من الخاقان إلى إسكندر وقال: أمرنى الخاقان أن أتكلم فى الخلوة، فربطوا يديه وطلعوها به إليه، قال إسكندر: ما رسالتك؟ فقال: أنا ملك الصين جئت إليك، مهما تحكم أطوع، ومهما تأمر أسمع، قال له إسكندر: ما خفت من هذه الجرأة؟ فقال الخاقان: قد عرفت أنك ملك صاحب دولة، وما بينى وبينك نفاق، ولا بين آبائى وآبائك خناق، ولو تقتلنى قتلت شخصاً واحداً من عسكرى، فيولون شخصاً آخر فى موضعى.

لما سمع إسكندر عظمه تعظيماً عظيماً، ثم قال إسكندر لـ خاقان الصين: نطلب منك أن تبوس الأرض، وخراج ثلاث سنين، فقبلها بالسرعة. ثم قال إسكندر: فكيف حالك بعد هذا؟ قال فى غاية المذلة، أخرج أنا والرعية.

ثم قال: لو نفنع بخراج سنتين فما حالك؟ قال أحسن من الأول. ثم قال: لو نأخذ خراج سنة فما حالك؟

قال الخاقان: تفرغ ذخيرتى ولكن ما تستأصل مملكتى ورعيتنى، لما رأى إسكندر منه هذا رأى والتدبر رضى منه بخراج ستة أشهر.

فحمده ملك الصين وقال لإسكندر: إذا قرر هذا الأمر مقصودنا أن نأكل معكم لقيمة، ونقعد فى خدمتكم لحيفة، فعملوا ميعاداً لأجل الضيافة، فباس الأرض وخرج فى الساعة.

وما ذكر إسكندر هذه القصة لأحد من العسكر، ولما جاء ميقات اليوم

الموعد ركب إسكندر مع جميع عسكره وراح إلى المحل المعهود، وخرج سلطان الصين مع عسكر الأولين والآخرين، فلما التقى الجامعان كان عسكر إسكندر بين عسكر الخاقان كالنقطة بين الدائرة، أو حلقة في وسط البادية، فاستعد إسكندر للحرب وقصد الهرب، فحينئذ خرج من عسكر الصين الخاقان، قال له إسكندر غدرت البيانات، قال ملك الصين: الغدر ما هو شغل السلاطين عالى القدر، الخدم إنما هو صنعة الفجار، لا الملوك ذوى الاقتدار، مقصودى من عرض العسكر أن يعرف إسكندر أن إطاعتنا ما هى من العجز، بل لأجل أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، ومطواعتى بناء على هذا، قال إسكندر: ما نأخذ منك ولا جديداً، فمد الخاقان سماًطاً لعسكر إسكندر ما رأت مثله عين البشر، ونزل الخاقان مع إسكندر فى موضع آخر، فقعدوا من البكرة إلى العصر بلا طعام، فمد سماًطاً صلهم صحنونهم ملأى باللالى، وأقداحهم ملأى من اليواقيت الغوالى، وعمل أقراص الخبز من الذهب، وأحضر من الجواهر الأشياء العجب، فقال الخاقان لإسكندر: باسم الله فى هذا لما حضر، قال إسكندر: فى هذه البلاد يأكلون هذه الأشياء؟ قال الخاقان: فأهل الروم يأكلون ماذا؟ قال إسكندر الخبز واللحم والأرز والدجاج والمأموية (؟) والوز، قال الخاقان: لو كان أكلكم هذه الأشياء لما خرجتم من الروم إلى ههنا، ما كان فى الروم الخبز واللحم والتين والعنب، حتى تجيء إلى الصين وتأكل بهذا التعب؟ فبكى إسكندر، فقال لأعيان دولته: حصل لنا فائدة هذا السفر، وبواسطة هذا ما لقينا من سفرنا هذا نصباً، وباس يد الخاقان، وقال درويشى درويشان^(١).

(١) كذا فى الأصل. وأظنها درويش درويشان أى درويش الدراويش، يعنى تابع الأتباع.

الخاتمة:

قال الضحاك الملك: إذا أرسلت رسولاً إلى حاجة فابعث حكيماً، فإن لم تجده فاذهب أنت بنفسك، كذبك على نفسك أحسن من كذب الغير عليك.

المجلس الثامن

طلعت يوم الثلاثاء عشرين رجب، وقعدوا في الدهيشة أربعين درجة، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبي، وأهل المجلس مدحوا عمارات حضرة مولانا السلطان.

قال مولانا السلطان: لو كانت الدهيشة من زمن السلطان قايتباي بهذه الهيئة لما خرج من القلعة، وما راح إلى القبة.

تنبيه:

قلت: ومن جملة عجائب عمارات السلطان عمارة الميدان، الذي تحير فيه عقل الإنسان، ومنها تجديد البيسرية، ومنها الدهيشة الأشرفية، وتجديد القصر الأبلق، الذي في البلاد مثله ما خلق.

ومنها جامع الغروية، ومنها المدرسة الأشرفية مع القبة الزرقاء، الذي ليس مثلها في القبة الإسلام تحت قبة الزرقاء.

ومنها عمارات الأشرفية والطبقات التي حولها، وهي كجبل شامخ في مصر جامع، وعمارات القلعة الشريفة وأطرافها التي هي كبناء مصر جامع في الجبل.

ومن عجائب دولته عمارات كثيرة، فى مدة يسير، عمل فى ستة سنين، الذى لا يمكن مثله فى ستين.

والمشهور بين الجمهور أن شداد بن عاد بنى الأهرام الذى لم يخلق مثلها فى البلاد فى مدة ستة سنين، لا شك لو جمع هذه العمارات يجىء بقدر الأهرام مع بعد عماراته الشريفة عن الجبل وتعب الحمل بالجمل، وكان بناء الأهرام فى وسط الجبل.

المتاسب لهذا المجلس:

قيل: الملك كالجبل الشامخ فيه الثمار والمياه، وفيه الوحوش والطيور، وفيه الانخفاض والارتفاع.

الخاتمة:

قال إسكندر: رائر السلطان يرفع قدره، ويعلو ذكره، ويبلغ إلى حصول مقصوده إذا كانت الزيادة على السنة المرضية.

من المجلس التاسع

طلعت يوم الخميس ثانى عشرين شهر رجب، وقعدوا فى الدهيشة أربعين درجة، وكان الإمام سيدى على الأحميى وقرئوا فى تلك الليلة تواريخ عجيبة.

قال صاحب التاريخ: روج السلطان ملك شاه السلجوقى بنته بالخليفة، وكان مائة ألف جمل تحت جهازها^(١).

(١) تزوج الخليفة المقتدى بالله (٤٦٧ - ٤٨٧) بنت السلطان ملك شاه، ويقول ابن الأثير إن الجهاز حمل على مائة وثلاثين جملًا وأربعة وسبعين بغلاً أمامها ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب الخ.

درة:

قال مولانا السلطان: هذا مثل البلخش^(١) بقدر رأس الجمل.

غريبة:

قال فى التاريخ: دخل الفارابى فى مجلس سيف الدولة، قال له الملك: اقعد، فقال: أقعد فى مكانى أو مكانك؟ قال: اقعد فى مكانك، فقعد فوق الكل بحيث يخرج سيف الدولة من السرير.

قاديب:

قال حضرة مولانا السلطان: ما عمل الفارابى مليحاً لأنه مستلزم لقلة الأدب مع ظل الله.

فقصّد ممالك سيف الدولة قتل الفارابى وتكلموا باللسان العجمى، أن هذا رجل قليل الأدب خفيف العقل، قال لهم الفارابى باللسان العجمى: اصبروا إنما الأعمال بالخواتيم، فبحث مع علماء المجلس وغلب على الكل، وتعجب سيف الدولة من هيئته وهيئته، قال له: تأكل لقمة؟ فقال: لا، قال: أسمع نغمة؟ قال: نعم فأحضروا المغنيات، فما أعجب الفارابى شغلهم، وقال: لو كان مرسومكم لنضرب قليلاً، قالوا: لا بأس، فأخرج قطعة من الخشب وركب عليه الأوتار وضرب، فضحك جميع من فى المجلس، ثم ضرب فبكوا، فأمر له سيف الدولة بدينارين فى كل يوم.

ومات الفارابى فى الشام.

(١) البلخش من الأحجار الكريمة.

الحكمة:

قال حضرة السلطان: ما خلص الفارابي من القتل عند سيف الدولة إلا اللسان العجمي، ولهذا قيل: اللسان مع الإنسان شخص ثان.

حكاية:

قال فى التاريخ: إن المأمون رأى جارية فصيحة على ظهرها قربة، قالت: يا أبتي أدرك فاهما، غلبنى فوها ولا طاقة لى بفيها، قال المأمون: أنت تريدين عشرة آلاف معجلة أو مائة ألف مؤجلة، قالت يا أمير المؤمنين بقى قسم آخر، وهى مائة ألف معجلة، فتعجب المأمون من كلامها.

نادرة:

قيل فى التاريخ: كان اسم أم خليفة شراراً، واسم امرأته قطراً.

درة:

قال حشرة مولانا السلطان: الشرار اسم موحش، وأعجبه اسم القطر، قال: تسمية الحبيب بالأشياء اللطيفة لطيف.

موقف:

قروا التاريخ إلى أن ذكر اسم أم الخليفة كان رموداً.

درة:

قال مولانا السلطان: الزمرد مناسب لختم المجلس والخاتم.

سؤال:

سأل مولانا السلطان فى كل وقت أكل الفالودج، ما اسمه باللسان العجمى؟
قلت: بالوده.

من المجلس العاشر

طلعت يوم السبت رابع عشرين شهر رجب، وقعدوا أربعين درجة فى الدهيشة، والإمام كان الشيخ عبد الرازق، ووقع فيه أشياء.
نكتة:

قال صاحب العقائق: إن حسن الدنيا كان عشرة، فجاء تسعة ليوسف، وواحد لجميع الدنيا.

قلت: يشكل بقوله عليه السلام: أنا أملح؟

الجواب:

قال مولانا السلطان: المراد أن حسن يوسف تسعة أعشار حسن الدنيا التى فى زمانه، ونبينا كان الأحسن الحقيقى ويوسف الأحسن الإضافى.

عجيبه:

قال فى التاريخ، ولد ولدان ملتصقان بالظهر، وكانا متخافين فى كل

يوم.

وذكر أيضاً أن فى تلك السنة وقعت مخانقات كثيرة.

درة:

قال مولانا السلطان: إذا كان أخوان ملتصقان يتخانقان فالمخائفة بين الناس بطريق أولى.

درة:

قال مولانا السلطان للقاضى شمس الدين العزى: عقلك عقل العامى .
ومعنى هذا الكلام أنه لما قصد دولتهى العصيان على مولانا السلطان قال له القاضى: العصيان مع هذه الدولة مثمر للندامة، وموجب البعد عن طريق السلامة، قال له: اسكت عقلك عقل العامى، فغضب عليه، فهرب القاضى منه، فسمع مولانا السلطان هذا الخبر، وقال له إذا حضر: عقلك عقل العامى.

ثم قال مولانا السلطان: أنا أعرف كثيراً من الألسن فتكلم فى كل لسان مثل فصائحهم، الأول العربى والثانى اللسان العجمى والثالث التركى والرابع الكردى والخامس الأرمنى والسادس الجركسى والسابع أوزه وأخوخ وأسى.

اتفاقية:

قال فى التاريخ: إن المتنبى وقع عليه الحرامى فى طريقه ليلاً من الليالى فقصد الهرب، قال له العبد: أنت ما أنشدت فى قصيدة وما قلت:

الخيل والليل والبيداء تشهى لى

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع المتنبى وقتل^(١).

(١) تحريف قصة المتنبى لمعروفة حينما خرج عليه الأعراب فقتلوه.

درة:

قال حضرة مولانا السلطان: العبد قصد التفرج.

حكمة:

قال مولانا السلطان: دخل جانبك الحبيب إلى الروم وكان قاصداً، قيل له: من أنتم حتى تحكموا بيت الله الحرام يا أولاد الكفرة، وهذا الملك يليق بسلطاننا وهو السلطان ابن السلطان ابن السلطان، قال جانبك في جوابهم: (إذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم) من كان أبا سيدنا إبراهيم، ومن كان أبا محمد عليه وعليهم السلام؟

وأيضاً ورد أن شرف الشخص بالعلم والأدب لا بالأصل والنسب.

قال الشيخ كوراني: لا تتكلموا في حق سلاطين مصر فإنكم تفضحون أنفسكم، فتعجب السلطان بايزيد من كلامه فأنعم عليه إنعامات كثيرة دقيقة. قلت: والعجب أن إسكندر باشا لما أمسكه السلطان قايتباي خلاه في الطبقة بسبب عدم معرفته بواجبات الشريعة.

ثم حضرة السلطان طلب مني أشعار الملوك، قلت: يقول سلطان حسين البيقرا^(١) شعر.

وه نه حالتدرکه من هر نتیجه کور کرسم نیاز

ای بالتالی بدمهر ! سندن ظاهر او لمزغیرناز

(١) یعنی حسین بیقرا من بنی تیمور المتوفی سنة ٩١٢.

المناسب لهذا المجلس:

أن ملوك الفروس يتكلمون فى يوم الحرب بالتركى ، وفى الأمر والنهى بالفهلوى ، وفى المنادمة والمجالسة بالفارسى .

الخاتمة:

قال عبد الملك بن مروان : ثلاثة أشياء تدل على مقدار أربابها : الكتابة تدل على مقدار كاتبها ، والهداية تدل على عقل مهديها ، والرسول يدل على مقدار عقل مرسله .

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر رجب ، وقعدوا فى الدهيشة زمنا قليلاً ، وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ، ووقع فيه المسائل .

حكاية:

قال صاحب العقائق : إخوة يوسف لما وصلوا إلى الجب لكموا ولطموا يوسف وقصدوا قتله فمنعهم يهوذا من القتل ، ويوسف يبكى ويبوس أيدي وأرجل الكل .

السؤال:

قال مولانا السلطان : والعجب أنهم ارتكبوا بيوسف هذه الأفعال الشنيعة وفى الآخر صاروا أنبياء !

الجواب:

قلت يا مولانا السلطان : ما ثبتت نبوتهم .

جدل:

قال الخواص: أنا رأيت فى الكتاب أنهم أنبياء.

قلت: أنت قرأت شيئاً من العلوم؟ وفى أى كتاب، رأيت؟ فليس للعامى أن يتعرض للعلماء، ويتكلم أمثال هذه الأشياء. قال القاضى محمود الخليلي: لا بد أن يكون إخوته أنبياء لأن ولد النبى نبي؟

الجواب:

قلت: يلزم أن يكون جميع الناس أنبياء بناء على هذا حتى الكفرة، لأن كلهم أولاد آدم صفى الله، ونوح نحى الله وأنت، تعلم قصة قابيل ولد صلب آدم الصفى وقصة ابن نوح النجى الذين نزل فى التنزيل قصتهما^(١).

تربية:

قال مولانا السلطان: يا شريف، خلاف الجماعة ما هو مليح.

قيل: رأى حاتم شخصاً فقال له: (كنت فى أين؟) فقال: كنت فى ضيافة حاتم، فذبح لأجلى الوز والغنم، وطبخ أنواع الأطعمة وأحضر الفواكه والأشربة، قال له حاتم: أنا حاتم (فى أين رأيتك)^(٢) ومتى ضيفتك؟ فقال فى الجواب: أنت مشهور فى الدنيا بالجوود والكرم، وما قدرت أن أخالف أهل العلم.

(١) يريد قصة قتل قابيل أخاه هابيل وقصة ابن نوح الذى أبى أن يركب فى السفينة مع أبيه ففرق (سورة المائدة وهود).

(٢) فى أين رأيتك، وكنت فى أين: أصل الكلمة العامة نين.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل: ذكر عند السلطان بابر وهو سبط تمور^(١) وكان كريماً وأنفق جميع خزائن جده على الناس، وقال إن حاتمًا ما أنفق معشار ما أنفقت أنت، وقال: ما نهاية كرم حاتم عند أهل العالم؟ قيل: إنه عمل بيتًا بأربعين بابًا وجاء سائل في الكل وفي كل باب أعطاه شيئًا.

قال السلطان بابر: هذا يدل على بخل حاتم، لا على كرمه، لأنه لو كان كريماً لأغناه في الباب الأول بحيث لا يحتاج الرواح إلى الباب الثاني.

الخاتمة:

قال إسكندر: لا تلوموا المرء على بخله ولوموه على بذله، لأنه لا خير في المرء لو لم يكن حافظًا لما يحفظه.

من المجلس الثاني

طلعت يوم الخميس تاسع عشرين شهر رجب، وقعدوا في الدهيشة أربعًا وستين درجة، وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق، وجاب القاضي محمود كراسًا من الكشاف في تفسير: (سوف أستغفر لكم)^(٢).

قال صاحب الكشاف: استغفر يعقوب ذنبهم في الآخر فصاروا أنبياء.

تروغيب:

قال مولانا السلطان: ما تقول يا شريف في جوابه؟ قلت: كنت مريضاً يومين ولكن أقول: إن هذا النقل موقوف على شيئين:

(١) محمد ظهر الدين بابر مقيم الدولة المغولية في الهند وهو الابن الخامس من نسل تيمور.

(٢) يريد قول يعقوب لبنيه «سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم» في سورة

أما الأول: هل بيننا وبين المعتزلة موافقة في عصمة الأنبياء أم لا؟

والثاني: كلام صاحب الكشف ما يعارض القرآن، مع أن ذنبهم ثابت في كتاب الله من عقوق الوالد والكذب وبيع المسلم في بلاد الكفر، وترقيق المسلم، ونسبة صديق الله إلى السرقة في قولهم: (فقد سرق أخ له من قبل)، كل هذه الأشياء كبيرة، ولا تليق بمرتبة النبوة!

قال حضرة مولانا السلطان: ما تقول يا قاضي في الجواب؟

وقول الشريف إن في الكشف مذهب الاعتزال هل صحيح أم لا؟ قال في الجواب: نعم.

قال حضرة مولانا السلطان: يا قاضي مجنون، إذا عرفت أن الكشف على مذهب الاعتزال فلا شيء استدلت به؟ تجيء بالنقل وتحط عليه^(١) يا قليل العقل؟ ليس مقصودك إلا المكابرة، لا البحث والمناظرة.

قال القاضي محمود: صاحب الكشف كان معتزلي الذهب في الأول، ثم تاب في الآخر من الاعتزال.

الجواب:

قلت: توبة صاحب الكشف لا تخرج مذهب الاعتزال من الكشف، فكلامنا في الكشف لا في صاحب الكشف، فإن الناس قد يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

نصيحة:

قال لي حضرة مولانا السلطان في الخلوة: لو ما جبت النقل وفتوى

(١) يعنى: تعترض عليه وتوهنه.

العلماء على عدم إثبات نبوة إخوة يوسف لأخلق ذقنك، قلت: لو أجيب الفتوى، فقال: أنت تكون من الخواص.

المناسب لهذا المجلس:

قيل: صاحب الكشاف مسك حلقة باب الكعبة، وقال: أنا الشويخ المعتزلى من يجادلنى؟ قال إمام الحرمين فى جوابه: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج).

خاتمة:

قال بعض الأفاضل:

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد.

وليس فيها لعمرى مثل كشاف

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته

فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

من المجلس الثالث عشر

طلعت يوم السبت غرة شهر شعبان، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبي، وقال لى حضرة السلطان على الطارئ^(١) يا عدو صاحب الكشاف ويادشمن^(٢) الزمخشري.

قال قاضى القضاة الحنفى: من هو عدو صاحب الكشاف؟ فتبسم

(١) يعنى فجأة.

(٢) دشمن: عدو بالفارسية.

حضرة السلطان وقال: الشريف، ثم قال: جبت الفتوى؟ قمت وبست الأرض وقلت: نعم.

صورة الفتوى:

ما قول علماء الدين، رضوان الله عليهم أجمعين، فى شخص يقول: لم تثبت نبوة إخوة يوسف الصديق عليه السلام، هل يقع فى محذور منع أن القاضى عياض قال فى الشفا: وأما إخوة يوسف فلم تثبت نبوتهم، ومال إليه القرطبي والإمام الفخر الرازى وابن كثير قال: لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف؟

ثم قال فى الجواب أعلم العلماء المحققين، وبرهان الفقهاء المدققين، أستاذى أستاذ العالم، شيخ إسلام العرب والعجم برهان الملة والشريعة والحقيقة، والتقوى والفتوى والدين، إبراهيم ابن أبى شريف:

الحمد لله الهادى للصواب: لا يجىء على قائل ذلك محذور، ومن قال بخطأ هؤلاء^(١) فهو غير مصيب، والمسألة خلافية.

وصححه أعلم علماء الحنفية، ومحّب الحضرة الأشرفية، المحقق المدقق الذكى، الشيخ برهان الدين الكركى.

وصححه شيخ الإسلام السالك، وأعلم علماء مذهب الإمام مالك، الشيخ برهان الدين الدميرى.

وصححه شيخ الإسلام، أستاذى وأستاذ البشر، العالم العامل الولى، قاضى القضاة الحنبلى.

(١) يعنى هؤلاء العلماء الذين أنكروا نبوة إخوة يوسف.

وصححه مجتهد العصر، وشافعى الدهر، صاحب الوصف الجميل،
الشيخ كمال الدين الطويل.

لما وقع نظر مولانا السلطان على القاضى محمود فى تلك الليلة، وفهم
منه أن مقصوده الغلبة بالجدل والنسفسطة، ومطلوبه من البحث ما هو إلا
المكابرة، لا إظهار الصواب والمناظرة، وقصده الغلب المطلق، وإن كان على
غير الحق، وأنه يفشى أسرار المجالس العلية عند الناس، ويفتخر بين العوام
والخواص، غلب أسماء القهرية على الحضرة الغورية، واتصف السلطان
صاحب النصر والفتوح، بصفة سيدنا نوح عليه السلام^(١) فأمر بطرد الجميع،
من الشريف والوضيع.

المناسب لهذا المجلس:

أنه قيل فى آخر دولة أنوشروان ظهر خارجى ذو شوكة فى بعض البلدان
 واجتمع عليه عياق كثير، فصار صاحب عسكر كبير، فطلب خطبة ابنة
 أنوشروان، وكان أنوشروان خائفًا من شوكته، وكان من رسوم كسرى أن
 يزوج البنات بالأقرباء لا بالغرباء، فشاور أركان دولته وأعيان مملكته فاتفق
 رأيهم على أن للملك بنتا صغيرة فيأخذ الملك بنتا بقدرها وفى الحرم يربيها،
 وحين تكبر يزوجه بها، ففرح أنوشروان من هذا البيت فأخذوا بنتا من
 الأكراد، وكان لبزرجمهر بنت من الجياد، وفى بعض الأوقات تجتمع مع
 الكردية، فقالت لأبيها من سوء خلقها، فاناظ بزرجمهر وقال ما هى بنت
 الملك، بل من الكرد جابوها، ولما ظهرت الأفعال القبيحة ثانيًا من الكردية،
 قالت بنت بزرجمهر: يا ابنة الكرد كم تؤذينى؟ فبكت الكردية واشتكت عند

(١) يعنى غضب نوح على قومه ودعاه عليهم فى القرآن.

أنوشروان، فعرف الملك أن بزرجمهر أظهر بته على هذا السر فأمر بإحضار موبذ موبذان (يعنى أعلم علماء ذلك الزمان).

فقال أفتونى فيمن أفشى سر السلطان، فقالوا جزاءه القتل عند أهل العقل والنقل، فأخذوا من رأس بزرجمهر تاج الوزارة، وحلوا من وسطه منطقة الإمارة، فشنقوا وعر وابنته ودورها حوله، وكانت البنت حين تمر تحت المشنقة تغطى عورتها بيديها وتغمض عينيها، لما ذكروا ذلك عند الملك طلبها وسأل منها حكمة ستر العورة تحت المشنقة، فقالت لأن الإنسان الكامل فى عسكري كان أبى، لو كان إنسان آخر لشفع عند الملك، وخلص أبى من الهلك، فأعجب أنوشروان كلامها فتزوج بها، لما نزلوا بزرجمهر رأوا تعويداً مربوطاً على يده وكان المكتوب لإيه، لو كان القضاء والقدر حقاً فالخذر باطل، ولو كان الموت حقاً فربط القلب بالدنيا عين الحماقة، لما رأى أنوشروان هذا بكى بين الجمع، بحيث خرج من عينه الدمع، فندم كثيراً.

خاتمة الكتاب

يقول محرر هذا الكتاب، ومقرر هذا الخطاب المستطاب، العبد الفقير،
المعترف بالذنب والتقصير، الواصل بالملك الغنى، حسين بن محمد الحسينى .

اللهم خلد دولة السلطان الأعظم، خليفة جمع من فى العالم، مبارز
ميدان (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) واسطة قلادة الصورة والمادة، صاحب
توقيع (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم)، وارث منشور (جعلناك
خليفة فى الأرض فاحكم)، أمير المؤمنين، خليفة المسلمين، الملك الأشرف،
عزيز مصر، أبو النصر قانصوه الغورى .

اللهم أدم سبجات فيضانه على أغصان بستان الإمكان، وعمم إنعامه
وإحسانه على أزهار أشجار الأكوان، ليجتنى من إرم كرمه، وروضة نعمه،
أقاص وأدان إلى آخر الزمان، يا حنان يا منان .

الاعتذار:

ونرجو من مكارم الأخلاق والشيم، ونلتمس من علماء العالم، أن من
اطلع منهم على سهو أو خطأ أو نسيان، وهو لازم لنوع الإنسان، أن يغمض
العين، ويستتره من البين، وأن يكون ساتراً للمعائب، لا مظهراً للمثالب،
ونستغفر الله لى ولكم وجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم .

صورة القصة:

ثم بعثت كتاباً على يد ملك التجار فى العالم، صاحب الجود والكرم،
أعز عباد الله عند سلطان أعظم بلاد الله، خواجه محمد ابن عباد الله، زاد
الله فضائله وكمالاته، فإنه آية من آياته :

على كل حال أنا المذنب

وما يحكم الشرع مستوجب

وإن شئتمو سامحونا بما

جنينا وإن شئتمو عذبوا

قال الله تعالى فى كتابه العزيز: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم».

وقال شفيع المذنبين، وحبيب التوابين: لكل شىء حيلة وحيلة الذنوب التوبة.

يا سلطان السلاطين، ويا ظل الله فى الأرضين، ويا حلیم عند الغضب، ويا أشرف ملوك العجم والعرب، اغفر لى ذنبى، واستر لى عيبى.

من أشعار حضرة الغورى نصره الله تعالى

لا تؤاخذ ثم اغفر ذنبنا وهو عظيم

وهدى منك ولطفاً للصراط المستقيم

لو تعدذبنى بعددك

وإن تسامحنى بفضلك

أقول: أستغفر الله من الذنب الذى أعلم ومن الذنب الذى لا أعلم
«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
أنت مولانا فانصرنا» يا كشاف القلوب، ويا غلام الغيوب، ويا ستار الغيوب:

أيها الريح الصبا رح بكرة

عند باب خسر وصاحب قران

حضرة السلطان أمير المؤمنين

قانسوه الغورى عزيز مصر وقان^(١)

حكمه وملكه وعدله

يوسف وإسكندر ونوشيروان

بعد بوس الأرض استغفر كثير

لأجل ذنب العبد مكسور الجنان

(تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه)

(١) قان: خان من ألقاب ملوك الترك، والوزن يقتضى حذف الهاء من (قانسوه).

اعتذار من كلام حضرة السلطان

يا إلهى بن كنه كار أنت غفار الذنوب
عيبمنى يوزيمه أورمه أنت ستار العيوب
قاموا اشلر ساكه معلوم أنت علام الغيوب
بن فقيره قل عنايت إننى أرجو غناك
يا إلهى كجدى عمرم بالخطايا والزلل
دنياه مشغول أولدم غرنى طول الأمل
دون كون شر اشلمكنده ما اكتسب خير العمل
سندن أوز كه يوق أميدم لا ولا مولى سواك
يا إلهى حضر تكده حين نقف عريان ذليل
يغرى بشلو كوزى يشلو دمعته قانى يسيل
عفو قيل أول كونده صوجم إن أوزارى ثقل
آنى محروم أتمه أنه يوم يرجو الناس لقاءك
يا إلهى أول حبيبك هاشمى المصطفى
هم أبو بكر عمر عثمان على المرتضى
مسعى ومروءة حقيقون والمشاعر والصفاء
غورنك بغشله صوجن ماله إلا عطاك

يا إلهى غورى قولك ذنبه ذنب عظيم

سن بغشله صوجلرينى يا كريم يا رحيم

رحمتوکه ديمتريوس رجائى للخلائق ذا عميم

هم غضب أودينه يقمه كلنا نرجو رضاك

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مجالس السلطان الغوري

صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري

تأليف
الدكتور عبد الوهاب زمام

مكتبة الشقافة الدينية

الشارع
مكتبة الشقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٢٨٤١١

فاكس: ٢٥٩٢٦٢٧٧ ص.ب: ٢١ توزيع الظاهر

E-mail: alsakafa_alDinaya@hotmail.com